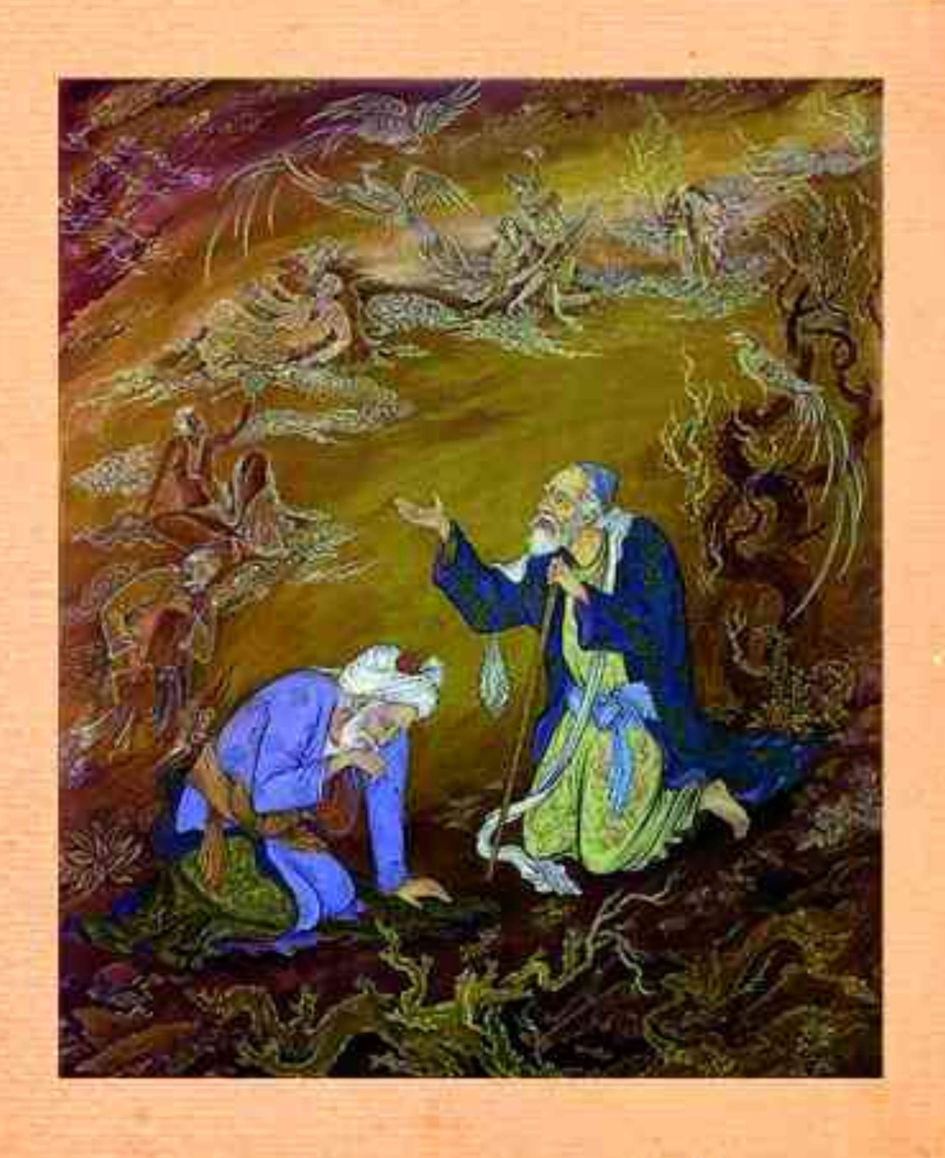
قصة

بلوهر و يوذاسف



تأليف محمد رسول كاظم

بلوهر ويوذاسف

قصة الاخلاق في الديانة الهندية القديمة

بلوهر ويوذاسف

قصة الاخلاق في الديانة الهندية القديمة

أعداد

محمد رسول كاظم

هوية الكتاب:

اسم الكتاب	بلوهر ويوذاسف قصة الاخلاق في الديانة الهندية القديمة
المؤلف	محمد رسول كاظم
الطبعة	الاولى
سنة الطبع	٢٠١٦ ميلادية
الاخراج وتصميم الغلاف	علي رسول
عدد النسخ المطبوعة	١٠٠٠ نسخة
المطبعة	مطابع النجف الاشرف
الناشر	

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة واشرف التسليم على سيد الخلائق اجمعين خاتم النبيين محمد واله الطيبين الطاهرين ولعنة الله الدائمة على اعدائهم من الاولين والاخرين الى قيام يوم الدين .

اما بعد :

فان للاخلاق أهمية عظيمة في الدين الحنيف وقد أكد عليها جميع الانبياء والمرسلين وائمة اهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) والعلماء والحكماء قد أمرونا بحسن الخلق والاداب واكدوا عليها تأكدا دقيقا منطلقين من قول رسول الله صلى الله عليه واله : ((انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق)) .

وراس مكارم الاخلاق نبذ الدنيا والزهد فيها و قد اكد اهل العلم والمعرفة على ذم الدنيا وقالوا فيها: ان الدنيا دار زوال والاخرة دار قرار والدنيا فانيه لامحال وكل شيء فيها هالك وورد في اخبار اهل البيت عليهم السلام الكثير في ذم الدنيا وتركها وقد قالوا فيها : ان الدنيا دار زوال فخذ منها ماينفعك في دار القرار.

ومن القصص النافعة في التزهيد في الدنيا والحث على مكارم الاخلاق القصة المنسوبة الى الحكيم الهندي (يوذاسف) فان هذه القصة تشمل الكثير من الحكم والمواعظ والقصص في الاخلاق وذم الدنيا.

وقد جمعنا هذه القصة ورتبناها وعنونا فقراتها وذلك لما فيها من المواعظ والحكم والقصص الاخلاقية والانسانية ومثل هذه القصص والمواعظ يستحسن على الانسان ان يطالعها ويتعظ منها .

وقد ذكرنا بعض الوصايا والاحاديث الواردة عن اهل البيت عليهم السلام المناسبة للمعنى الذي يرد في القصة ذكرنا ذلك في الهامش .

كما ذكرنا بعض الشروح لبعض المعاني والالفاظ الغريبة الموجودة في القصة .

وقدمنا لذلك بمدخل ذكرنا فيه شيئا مختصرا عن الحكيم يوذاسف وبينا ان المؤرخين قد اختلفوا فيه .

كما ذكرنا ما كتب حول هذه القصة من كتب ومن ترجمة لها .

اسال الله العلي القدير ان يوفقنى الى ان أتعظ وأعتبر من هذه القصص انا وجميع من يطلع عليها والحمد لله رب العالمين

محمد رسول

٢٦ / صفر / ١٤٣٢ هجرية

الموافق : ٣١ / ١ / ٢٠١١ ميلادية

المدخل

ملخص في احول يوذاسف الحكيم

ان يوذاسف مختلف في امره عن المؤرخين فان الهنود القدماء يزعمون انه كان نبيا وانه من الزهاد بمكان وانه امرهم بعبادة النار وهذا يخالف ما في هذه القصة بل مضمونها يدعو الى التوحيد .

قال المرتضي في رسائله في ذكر مذاهب أهل الأصنام وذكر بيوت النيران المعظمة: حكى قوم ممن يعرف أمور العالم ويبحث عن قصصهم ، منه جعفر بن محمد المنجم أبو معشر : ((إن كثيرا من أهل الهند والصين كانوا يعتقدون الربوبية ، ويقرون بأن لله ملائكة ، وكانوا يعتقدون أنه جسم ذو صورة كأحسن الصور وكأتم الأصنام وأن الملائكة أجسام لها ، وأن الله وملائكته محتجبون بالسماء فدعاهم ذلك إلى أن اتخدوا أصناما على صورة الله عندهم ، وبعضهم على صورة الملائكة ، فكانوا يعبدونها ويقربون القرابين لها ، لشبهها عندهم بالله ، ويقدرون فيها أنها شفيعهم .

فلم يزالوا كذلك حتى قال لهم بعض من كان عندهم في سبيل الأنبياء : إن الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام إلى الله ، وأنها حية ناطقة ، وإن الملائكة يختلف فيما بين الله وبينها ، وأن كل ما يحدث في العالم إنما هو على قدر ما يجري به حركات الكواكب من أمر الله ، فعظموها وقربوا لها القرابين لتشفعهم ، فمكثوا على ذلك دهرا .

فلما رأوا الكواكب تخفى بالنهار ، وفي بعض أوقات الليل لما يعرض في الهواء من الغيوم ، أشار عليهم بعض رؤوسائهم بأن يجعلوا لها أصناما ليروها في كل وقت ، فجعلوا لها أصناما على عدد الكواكب الكبار المشهورة ، وهي السبعة

المتحيرة ، فكان كل صنف يعظم كوكبا معلوما ، وينحر له جنسا من القربان خلاف ما للآخر ، واعتقدوا أنهم إنما عظموا الأصنام لحرمة الكواكب هم يحتاجون ، وبنوا لكل صنم بيتا وهيكلا مفردا ، وسموا ذلك البيت باسم الكواكب .

وزعم بعض الناس أن بيت الله الحرام كان بيت زحل ، وإنما بقي لأن زحل يدل على البقاء أكثر من سائر الكواكب ، فلما طال عهدهم عبدوا الأصنام على أنهم تقربهم إلى الله زلفى ، وألغوا ذكر الكواكب .

فلم يزالوا كذلك حتى ظهر يوذاسف ببلاد الهند وكان هنديا ، وذلك زعموا في أول سنة من ملك طهمورث ملك فارسي يوذاسف النبوة ، وأمرهم بالزهد وجدد عندهم عبادة الأصنام والسجود لها ، ذكر أهل فارس أن جم الملك أول من أعظم النار ، ودعى الناس إلى تعظيمها ، قال : لأنها تشبه ضوء الشمس والكواكب . قال : ولأن النور أفضل من الظلمة ، ثم اختلف بعد ذلك ، يعظم كل قوم ما يرون تعظيمه من الأسماء تقربا إلى الله تعالى .

ثم نشأ عمرو بن يحيى ، فساد قومه بمكة فاستولى على أمر البيت ، ثم صار إلى مدينة البلغا بالشام ، فرأى قوما يعبدون الأصنام ، فسألهم عنها ؟ فقالوا : هذه أرباب نتخذها نستنصر بها فننصر ، ونستقي فنسقى ، فطلب منهم صنما فدفعوا إليه الهبل ، فصار به إلى مكة وإلى الكعبة ومعه أساف ونائلة ، ودعى الناس إلى تعظيمها وعبادتها ، ففعلوا ذلك . وفيما يزعم أصحاب التاريخ في أول ملك سابور ذي الأكتاف إلى أن أظهر الله الإسلام فأخرجت . وقد قلنا : إن البيت فيما زعم المخبرون كان لزحل ، وقد كذبوا لعنهم الله . ومن تلك البيوت السبعة التي كانت للكواكب بيت على رأس جبل بأصبهان على ثلاث فراسخ من مدينتها ، فكانت فيه أصنام أخرجها كشتاسب الملك إلى عجن وجعله بيت نار . والثاني : البيت الذي بملتان من أرض الهند وبه أصنام . والبيت الثالث : بيت سدوسان من الهند ، وهما بيتان عظيمان عندهم ، يأتونهما في أوقات من السنة . والبيت

الرابع : هو النوبهار الذي بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر ، فلما ظهر الإسلام خربه أهل بلخ . وبيت عمدان الذي بمدينة صنعاء من مدن اليمن ، وكان الضحاك بناه على اسم الزهرة ، وخربه عثمان بن عفان . وبيت كاووسان بناه كاووس الملك بناه أعجبنا على اسم شهر المدينة ، فرعانة من مدن خراسان ، خربه معتصم . وأما بيوت النار فهي كثيرة ، وأول من رسم لها بيتا فيما يزعمون أفريدون وجد نارا يعظمها أهلها ، فبعث بها إلى خراسان ، يسمى كركوا أبحو)) (١) .

وذكر السيد الطباطبائي في تفسريه عن ديانة قوم يوذاسف وخروجه اليهم : ((ذكر أبو ريحان البيروني في الآثار الباقية ما لفظه : وأول المذكورين منهم يعني المتنبئين يوذاسف وقد ظهر عند مضي سنة من ملك طهمورث بأرض الهند وأتي بالكتابة الفارسية ، ودعا إلى ملة الصابئين فأتبعه خلق كثير .

وحكى عبد المسيح بن إسحاق الكندي عنهم ان لهم أنبياء كثيرة أكثرهم فلاسفة يونان كهرمس المصري وأغاذيمون وواليس وفيثاغورث وباباسوار جد أفلاطون من جهة امه وأمثالهم ، ومنهم من حرم عليه السمك خوفا أن يكون رغاوة والفرخ لأنه ابدا محموم ، والثوم لأنه مصدع محرق للدم أو المني الذي منه قوام العالم ، والباقلاء لأنه يغلظ الذهن ويفسده ، وأنه في أول الامر إنما نبت في جمجمة إنسان ، ولهم ثلاث صلوات مكتوبات . أولها : عند طلوع الشمس ثماني ركعات . والثانية : عند زوال الشمس عن وسط السماء خمس ركعات ، وفي كل ركعة من صلاتهم ثلاث سجدات ، ويتنفلون بصلاة في الساعة الثانية من النهار ، واخرى في التاسعة من النهار . والثالثة : في الساعة الثالثة من الليل ، ويصلون على طهر ووضوء ، ويغتسلون من الجنابة ولا يختتنون إذ لم يؤمروا بذلك زعموا وأكثر احكامهم في المناكح والحدود مثل احكام المسلمين ، وفي التنجس عند مس الموتى ، وأمثال ذلك شبيهة بالتورية ، ولهم قرابين متعلقة بالكواكب وأصنامها

---

(١) رسائل المرتضى : ج٣ ص٢٢٩ .

وهياكلها ، وذبائح يتولاها كهنتهم وفاتنوهم ، ويستخرجون من ذلك علم ما عسى يكون المقرب وجواب ما يسأل عنه ، وقد يسمى هرمس بإدريس الذي ذكر في التوراة أخنوخ ، وبعضهم زعم أن يوذاسف هو هرمس . وقد قيل : إن هؤلاء الحرانية ليسوا هم الصابئة بالحقيقة ، بل هم المسمون في الكتب بالحنفاء والوثنية ، فإن الصابئة هم الذين تخلفوا ببابل من جملة الأسباط الناهضة في أيام كورش وأيام ارطحشست إلى بيت المقدس ، ومالوا إلى شرائع المجوس فصبوا إلى دين بختنصر ، فذهبوا مذهبا ممتزجا من المجوسية واليهودية ، كالسامرة بالشام ، وقد توجد أكثرهم بواسط وسواد العراق بناحية جعفر والجامدة ونهرى الصلة منتمين إلى انوش بن شيث ، ومخالفين للحرانية ، عائبين مذاهبهم ، لا يوافقونهم الا في أشياء قليلة ، حتى أنهم يتوجهون في الصلاة إلى جهة القطب الشمالي والحرانية إلى الجنوبي ، وزعم بعض أهل الكتاب أنه كان لمتوشلخ ابن غير ملك يسمى صابي ، وأن الصابئة سموا به ، وكان الناس قبل ظهور الشرائع وخروج يوذاسف شمينين سكان الجانب الشرقي من الأرض وكانوا عبدة اوثان ، وبقاياهم الآن بالهند والصين والتغزغز ويسميهم أهل خراسان شمنان ، وآثارهم وبهاراتهم وأصنامهم وفرخاراتهم ظاهرة في ثغور خراسان المتصلة بالهند ، ويقولون : بقدم الدهر ، وتناسخ الأرواح وهوي الفلك في خلا غير متناه ، ولذلك يتحرك على استدارة فإن الشئ المستدير إذا أزيل ينزل مع دوران ، زعموا ومنهم من أقر بحدوث العالم ، وزعم أن مدته ألف الف سنة)) (١) .

وقال ايضا الطباطبائي في مكان اخر : ((أن يوذاسف ظهر عند مضى سنة من ملك طهمورث بأرض الهند ، وأتى بالكتابة الفارسية ، ودعا إلى ملة الصابئين فأتبعه خلق كثير ، وكانت الملوك البيشدادية وبعض الكيانية ممن كان يستوطن بلخ يعظمون النيرين والكواكب وكليات العناصر إلى وقت ظهور زراتشت عند مضى ثلاثين سنة من ملك بشتاسف . - وساق الكلام إلى أن قال - : وينسبون التدبير

(١) تفسير الميزان : ج١ ص١٩٤ .

إلى الفلك وأجرامه ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبصرها ، ويعظمون الأنوار ، ومن آثارهم القبة التي فوق المحراب عند المقصورة من جامع دمشق كان مصلاهم ، وكان اليونانيون والروم على دينهم ، ثم صارت في أيدي اليهود فعملوها كنيستهم ، ثم تغلب عليها النصارى فصيروها بيعة إلى أن جاء الاسلام وأهله فاتخذوها مسجدا)) (١) .

ويرى البعض ان قصة بلوهر ويوذاسف هو استبطان للبوذية او الاسماعيلية ظهر بهذه القصة:

فالكتاب يسمّى في بعض نسخ الفهرست: كتاب بلوهر وبرداسف أو; كتاب بلوهر وبردانية أو الزهر وبوداسف المهمّ أن الكتاب قديم، غير عربيّ بالتأكيد، ترجم منذ عهد قديم، من الهندية إلى الفارسية ثم إلى العربية.من المرجح أن بوداسف هو الاسم الذي ارتضته الترجمة لـ بوذا والجوانب الإسماعيلية في هذا الكتاب تتعاطى مع مسألة الظاهر والباطن في التأويل حيال الأمثال المضروبة والمفعمة بالحكمة والعبرّ.

ونحن امام هذه الاضطرابات بين المؤرخين في شخصية يوذاسف لايسعنا الان نقدم القصة كما هي فانها الوحيدة المعبرة عن مقود وعقيدة كاتبها ولعلها مثل الف ليلة وليلة لم يحرو لها كاتب مشخص اصلا .

---

(١) تفسير الميزان : ج٧ ص٢٣٦ .

المصادر

التي ذكرت القصة وبعض ترجماتها

حضيت قصة بلوهر بعناية الكثير من المؤرخين والمؤلفين والمترجمين، ولعلها ترجمت الى اغلب اللغات العالمية الحية .

من كتب وهذب وترجم هذه القصة ومن اشار اليها في كتبه واليك ما جمعناه:

❖- كتاب بلوهر وبرداسف ترجمة جبل بن يزيد كاتب عمارة بن حمزة من اهل حران (١) .

❖- كتاب بلوهر وبوداسف ترجمة سليمان بن الوليد اخو مسلم (٢) .

❖- كتاب بلوهر وبوداسف (بلوهر وبردانية) ترجمة أبان اللاحقي بن عبد الحميد بن لاحق بن عقير (٣) .

❖- علي بن أحمد بن الحسن القطان : لم يذكروه ، روى الصدوق ، عنه ، عن الحسن بن علي العسكري قصة بلوهر و يوذاسف (٤) .

❖- اختصار كتاب بلوهر وبيوذسف فارسي في النوادر والحكايات اختصره علي بن محمد المشتهر بنظام (٥) .

---

(١) فهرست ابن النديم : ص١٣٢ .

(٢) فهرست ابن النديم : ص١٣٢ .

(٣) فهرست ابن النديم : ص١٨٦ ، هدية العارفين : ج١ ص١ .

(٤) مستدركات علم رجال الحديث : ج٥ ص٢٩٠ .

(٥) هدية العارفين : ج١ ص٧٣٦ .

◆- بلوهر ويوذاسف في ترجمة قصتهما المشهورة باللغة الگجراتية . للحاج غلام علي ابن الحاج إسماعيل البهاونگري الهندي المعاصر ذكره فيما أرسله إلي من فهرس تصانيفه الكثيرة (١) .

◆- تهذيب قصة بلوهر الحكيم مع يوذاسف للسيد محسن الأمين مؤلف أعيان الشيعة ، ذكره في فهرس تصانيفه بخطه (٢) .

◆- حكاية بلوهر ويوزاسف ترجمة لها بالفارسية طبعت بإيران ، والأصل العربي مدرج في آخر المجلد السابع عشر من البحار (٣) .

◆- بوذاسف وبلوهر هو أيضا من تعاليم بودا ، وقد ترجم بالعربية كما ذكره ابن النديم في (ص ٤٢٤) بعنوان بوتاسف وبلوهر ، ونظمه بالعربية أبان بن عبد الحميد اللاحقي كما ذكره فيها (ص ١٧٢) بعنوان بلوهر وبردانية . وترجم من العربية بالفارسية الجديدة هذا وقد ترجم أيضا باليونانية بعنوان برلام وبوذاسف (٤) .

◆- وقال الشيخ اغا بزرك في الذريعة : ذكرة هاذه القصة في كتاب اسمه (داستان بلوهر ويوزاسف) فارسي ولم ينسبها الى احد (٥) .

◆- كتاب بلوهر ترجمة لحكاية بوذاسف وبلوهر العربي المدرج في سابع عشر (البحار) ترجمة بالفارسية الخالصة ، طبع في إيران في ١٣٥٥ . ألفه السيد علي رضا اليزدي نزيل طهران (٦) .

---

(١) الذريعة : ج٣ ص١٤٩ .

(٢) الذريعة : ج٤ ص٥١٥ .

(٣) الذريعة : ج٧ ص٥٢ .

(٤) الذريعة : ج٨ ص٣١ .

(٥) الذريعة : ج٨ ص٣٦ .

(٦) الذريعة : ج١٧ ص٢٧٠ .

◆- ترجمة قصة يوذاسف وبلوهر ترجمها بالفارسية العلامة المجلسي وأدرج الترجمة بتمامها في كتابه (عين الحياة) المطبوع ثم أن السيد قريش بن محمد الحسيني القزويني (المتوفى حدود ١٢٦٠) أورد ترجمة العلامة المجلسي بعينها في كتابه (حياة الأبرار) المطبوع (في ١٢٧٩) (١) .

◆- كليد بهشت لنجات التبريزي ، الميرزا محمد حسين بن معين الاسلام وهو نظم حكاية يوذاسف وبلوهر بالفارسية ، نظمها في ١٣١٠ في (نامهء دانشمندان : ٣٧٢) أن نسخة منه عنده (٢) .

◆- وقد ذكرهذه القصة السيد ابن طاووس في كتابه فرج المهموم (٣) .

◆- وقال العلامة المجلسي في البحار : ان قصة بلوهر ويوذاسف فيها : قصص ، وحكايات وفيها تنبيهات ، وتمثيلات ، ونصايح ، ومواعظ ، وذم الدنيا (٤) .

---

(١) الذريعة : ج٩ ص١١٧١ .

(٢) الذريعة : ج١٨ ص١٣٢ .

(٣) فرج المهموم : ص١٨٧ .

(٤) بحار الأنوار : ج١١٠ ص١٦٣ .

قصة بلوهر ويوذاسف

❖- قال رئيس المحدثين الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي في كتابه كمال الدين وتمام النعمة قائلا : حدثنا احمد بن الحسن القطان (١) قال : حدثنا الحسن بن علي السكري (١) او (العسكري) قال :

---

(١) هو أحمد بن الحسن القطان المعروف بابي علي بن عبدويه (عبد ربه خ ل) من مشائخ الصدوق . روى عنه في كتبه منها في المعاني باب ٣٤ ، العيون ج ١ باب ٦ ص ٤٨ ح ٩ وغير ذلك ، كثير وذكره في الأمالي (م ت) الأمالي : ٦٦٠ / ٨٩٥ المجلس الثالث والثمانون . أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري الخزاعي ، نزيل الري والد الشيخ الحافظ عبد الرحمن . عدل عين . قرا على السيدين المرتضى والرضي والشيخ أبي جعفر (رحمه الله) له : ١- الأمالي في الاخبار أربع مجلدات ٢- كتاب عيون الأحاديث ٣- الروضة في الفقه ٤- السنن ٥- المفتاح في الأصول ٦- المناسك .

وقال السيد محسن الامين في اعيان الشيعة : أحمد بن محمد بن الحسن القطان المعدل المعروف بأبي علي بن عبدويه أو بابن عبدويه الرازي من مشايخ الصدوق تروى عنه في كتبه كثيرا مترضيا وقال في كمال الدين انه كان شيخا كبيرا لأصحاب الحديث ببلد الري ووصفه في الخصال والأمالي بالمعدل أو العدل وقد يذكر أحمد بن الحسن القطان نسبه إلى جده وفي بعض النسخ ابن الحسين بالياء وفي بعضها عبدويه بالواو والمثناة التحتية وفي بعضها عبد ربه والظاهر أنه تصحيف . قال في كمال الدين : حدثنا احمد بن الحسين القطان المعروف بأبي علي بن عبدويه الرازي وهو شيخ كبير لأصحاب الحديث ببلد الري وعن الأمالي والخصال أحمد بن الحسن بغير ياء ابن عبدويه العدل اه .

راجع ترجمته : أعيان الشيعة : ج٣ ص٩٥ ، الهداية للشيخ الصدوق : ص٤٨ ، تعاليق مبسوطة للشيخ محمد إسحاق الفياض : ج٢ ص٢٣٣ ، الأمالي للشيخ الصدوق : ص١٥ – ٢٠ ، نقد الرجال : ج١ ص١١٦ ، جامع الرواة : ج١ ص٦٦ ، مستدركات علم رجال الحديث : ج١ ص٢٨٧ ، طرائف المقال : ج١ ص١٥٥ ، معجم رجال الحديث : ج٢ ص٨٥ ، المفيد من معجم رجال الحديث : ص٢٤ .

فقد بلغني أن ملكا من ملوك الهند كان كثير الجند ، واسع المملكة ، مهيبا في أنفس الناس ، مظفرا علي الاعداء ، وكان مع ذلك عظيم النهمه (٢) في شهوات الدنيا ولذاتها وملاهيها ، مؤثرا لهواه ، مطيعا له ، وكان أحب الناس إليه وأنصحهم له في نفسه من زين له حاله وحسن رأيه ، وأبغض الناس إليه وأغشهم له في نفسه من أمره بغيرها وترك أمره فيها ، وكان قد أصاب الملك فيها في حداثة سنه وعنفوان شبابه وكان له رأي أصيل ولسان بليغ ومعرفة بتدبير الناس وضبطهم ، فعرف الناس ذلك منه فانقادوا له ، وخضع له كل صعب وذلول ، واجتمع له سكر الشباب وسكر السلطان ، والشهوة والعجب ، ثم قوي ذلك ما أصاب من الظفر على من ناصبه والقهر لاهل مملكته ، وانقياد الناس له ، فاستطال على الناس واحتقرهم ، ثم ازداد عجبا برأيه ونفسه لما مدحه الناس وزينوا أمره عنده ، فكان لا همة له إلا الدنيا وكانت الدنيا له مؤاتية لا يريد منها

---

(١) الحسن بن علي السكري ، أبو سعيد : لم يذكروه . روى الصدوق في كمال الدين باب ٥٤ عن أحمد بن الحسن القطان ، عنه ، عن محمد بن زكريا ، عن جعفر بن محمد بن عمارة ، عن الصادق صلوات الله عليه . وفيه باب ٧ بهذا السند ، عنه ، عن محمد بن زكريا البصري ، عن جعفر ابن محمد بن عمارة ، عن أبيه ، عن الصادق عليه السلام حديث وفاة موسى بن عمران . وفيه باب ٢٢ بهذا الاسناد رواية أخرى . وفيه باب ٥٤ بهذا الاسناد ، عن محمد بن زكريا حديث قصة يوزاسف وبلوهر . وروى في كتاب التوحيد بهذا الاسناد ، عنه بهذا الاسناد روايات كما فيه ص ١٢ و ١١١ باب ثواب الموحدين ، وباب معنى رضاه . وفيه ص ٩٦ عن أحمد بن الحسن القطان ، عن أبي سعيد الحسن بن علي ابن الحسين السكري ، عن الحكم بن أسلم رواية أخرى . وفي الخصال : بهذا الاسناد ، عنه ، عن جابر بن يزيد الجعفي حديث جوامع احكام النساء ، وغير ذلك .

راجع ترجمته : مستدركات علم رجال الحديث : ج٢ ص٤٥٤ ، اعيان الشيعة : ج٧ ص١٠٩ .

(٢) النهمة – بفتح النون – : بلوغ الهمة والشهوة في الشيء ويقال : له في هذا الامر نهمة أي شهوة .

شيئا إلا ناله ، غير أنه كان مئناثا (١) لا يولد له ذكر ، وقد كان الدين فشا في أرضه قبل ملكه وكثر أهله ، فزين له الشيطان عداوة الدين وأهله وأضر بأهل الدين فأقصاهم مخافة على ملكه وقرب أهل الاوثان ، وصنع لهم أصناما من ذهب وفضة ، وفضلهم و شرفهم ، وسجد لاصنامهم .

فلما رأى الناس ذلك منه سارعوا إلى عبادة الاوثان والاستخفاف بأهل الدين.

---

(١) المئناث : التي اعتادت ان تلد الاناث ، وكذلك الرجل لانهما يستويان في مفعال . ويقابله المذكار وهي التي تلد الذكور كثيرا .

{ الحكمة : ١ }

يحسب الجاهل الامر الذي هو لا شيء شيئا

ثم إن الملك سأل يوما عن رجل من أهل بلاده كانت له منه منزلة حسنة ومكانة رفيعة وكان أراد أن يستعين به على بعض اموره ويحبوه ويكرمه .

فقيل له أيها الملك إنه قد خلع الدنيا وخلي منها ولحق بالنساك فثقل ذلك على الملك ، وشق عليه .

ثم إنه أرسل إليه فاوتي به ، فلما نظر إليه في زي النساك (١) وتخشعهم زبره وشتمه (٢) .

وقال له : بينا أنت من عبيدي وعيون أهل مملكتي ووجههم وأشرافهم إذ فضحت نفسك وضيعت أهلك ومالك واتبعت أهل البطالة والخسارة حتى صرت ضحكة ومثلا ، وقد كنت أعددتك لمهم اموري ، والاستعانة بك على ما ينوبني .

فقال له : أيها الملك إن لم يكن لي عليك حق فلعقلك عليك حق ، فاستمع قولي بغير غضب ، ثم ائمر بما بدالك بعد الفهم والتثبيت ، فإن الغضب عدو العقل ، ولذلك يحول ما بين صاحبه وبين الفهم .

قال له الملك : قل ما بدالك .

قال الناسك : فإني أسألك أيها الملك أفي ذنبي على نفسي عتبت علي أم في ذنب مني إليك سالف ؟ .

قال الملك : إن ذنبك إلى نفسك أعظم الذنوب عندي ، وليس كلما أراد رجل من رعيتي أن يهلك نفسه أخلي بينه وبين ذلك ، ولكني أعد إهلاكه لنفسه

---

(١) النساك : العباد .

(٢) وزبره : أي زجره .

كإهلاكه لغيره ممن أنا وليه والحاكم عليه وله ، فأنا أحكم عليك لنفسك وآخذ لها منك إذ ضيعت أنت ذلك .

فقال له الناسك : أراك أيها الملك لا تأخذني إلا بحجة ولا نفاذ لحجة إلا عند قاض ، وليس عليك من الناس قاض ، لكن عندك قضاة وأنت لاحكامهم منفذ ، وأنا ببعضهم راض ، ومن بعضهم مشفق .

قال الملك : وما أولئك القضاة ، قال : أما الذي أرضى قضاءه فعقلك ، وأما الذي أنا مشفق منه فهواك .

قال الملك : قل ما بدالك وأصدقني خبرك ومتى كان هذا رأيك ؟ ومن أغواك؟

قال : أما خبري فإني كنت سمعت كلمة في حداثة سني وقعت في قلبي فصارت كالحبة المزروعة ثم لم تزل تنمي حتى صارت شجرة إلى ما ترى ، وذلك ؟ أني كنت قد سمعت قائلا يقول : يحسب الجاهل الامر الذي هو لا شئ شيئا والامر الذي هو الشيء لا شيء ، ومن لم يرفض الامر الذي هو لا شئ لم ينل الامر الذي هو شيء ، ومن لم يبصر الامر الذي هو الشيء لم تطب نفسه برفض الامر الذي هو لا شيء ، والشئ هو الاخرة ، ولا شيء هو الدنيا (١) ، فكان

---

(١) وهنا احب ان اذكر حديث مشابه لما قاله الحكيم بلوهر :

❖- قال رسول الله صلى الله عليه واله : لو كانت الدنيا تعدل عند الله مثل جناح بعوضة ما عطى كافرا ولا منافقا منها شيئا .

❖- ومن كلام لامير المؤمنين عليه السلام في الزهد وذم الدنيا وعاجلها قال : إني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة وعمرت بالآمال وتزينت بالغرور ، لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها ، غرارة ، ضرارة ، زائلة ، نافدة أكالة ، غوالة ، لا تعدو - إذا هي تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها - أن تكون كما قال الله سبحانه : (كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) {سورة الكهف :٤٥}. مع أن امرءا لم يكن منها في حبرة إلا أعقبته عبرة ولم يلق من سرائها بطنا إلا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله فيها ديمة رخاء إلا هتفت عليه مزنة بلاء . إذا

لهذه الكلمة عندي قرار لاني وجدت الدنيا حياتها موتا وغناها فقرا ، وفرحها

هي أصبحت منتصرة أن تمسي له منكرة. وإن جانب منها اعذوذب لامرء واحلولى ، أمر عليه جانب منها فأوبى وان لبس امرؤ منها في جناح أمن إلا أصبح في أخوف خوف غرارة ، غرور ما فيها ، فانية فان من عليها . لا خير في شيء من زادها إلا التقوى . من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها لم يدم له وزال عما قليل عنه . كم من واثق بها قد فجعته وذي طمأنينة إليها قد صرعته . وذي حذر قد خدعته . وكم ذي أبهة فيها قد صيرته حقيرا . وذي نخوة قد ردته جائعا فقيرا . وكم ذي تاج قد أكبته لليدين والفم . سلطانها ذل وعيشها رنق . وعذبها أجاج . وحلوها صبر. حيها بعرض موت . وصحيحها بعرض سقم . ومنيعها بعرض اهتضام. وملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وأمنها منكوب وجارها محروب ومن وراء ذلك سكرات الموت وزفراته وهول المطلع والوقوف بين يدي الحاكم العدل (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) { سورة النجم : ٣١} ألستم في مساكن من كان أطول منكم أعمارا وأبين آثارا وأعد منكم عديدا وأكثف منكم جنودا وأشد منكم عنودا. تعبدوا للدنيا أي تعبد وآثروها أي إيثار . ثم ظعنوا عنها بالصغار. أفهذه تؤثرون ؟ أم على هذه تحرصون ؟ أم إليها تطمئنون ؟ يقول الله : (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) { سورة هود : ١٥-١٦} فبئست الدار لمن لم يتهيبها ولم يكن فيها على وجل . واعلموا - وأنتم تعلمون - أنكم تاركوها لابد وإنما هي كما نعت الله : لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد فاتعظوا فيها بالذين كانوا يبنون بكل ريع آية يعبثون ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون وبالذين قالوا : (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) { سورة فصلت : ١٥ } واتعظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حملوا إلى قبورهم ولا يدعون ركبانا وانزلوا ولا يدعون ضيفانا. وجعل لهم من الضريح أكنان ومن التراب أكفان ومن الرفات جيران . فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما . لا يزورون ولا يزارون . حلماء قد بارت أضغانهم جهلاء قد ذهبت أحقادهم . لا تخشى فجعتهم ولا يرجى دفعهم . وهم كمن لم يكن وكما قال الله سبحانه : فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين . استبدلوا بظهر الأرض بطنا وبالسعة ضيقا وبالأهل غربة وبالنور ظلمة . جاؤوها كما فارقوها ، حفاة عراة . قد ظعنوا منها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة وإلى خلود أبد يقول الله تبارك وتعالى : (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) { سورة الأنبياء : ١٠٤ } . (تحف العقول : ص١٨٠)

ترحا ، وصحتها سقما ، و قوتها ضعفا ، وعزها ذلا ، وكيف لا تكون حياتها موتا ، وإنما يحيى فيها صاحبها ليموت ، وهو من الموت على يقين ، ومن الحياة على قلعة ، وكيف لا يكون غناؤها فقرا وليس اصيب أحد منها شيئا إلا احتاج لذلك الشئ إلى شئ آخر يصلحه وإلى أشياء لا بدله منها .

ومثل ذلك أن الرجل ربما يحتاج إلى دابة فإذا أصابها احتاج إلى علفها وقيمها ومربطها (١) وأدواتها ، ثم احتاج لكل شئ من ذلك إلى شئ آخر يصلحه ، وإلى أشياء لا بدله منها ، فمتى تنقضي حاجة من هو كذلك وفاقته ؟ وكيف لا يكون فرحها ترحا وهي مرصدة لكل من أصاب منها قرة أعين أن يرى من ذلك الامر بعينه أضعافه من الحزن ، إن رأى سرورا في ولده فما ينتظر من الاحزان في موته وسقمه وجايحة إن أصابته أعظم من سروره به ، وإن رأى السرور في مال فما يتخوف

من التلف أن يدخل عليه أعظم من سروره بالمال ، فإذا كان الامر كذلك فأحق الناس بأن لا يتلبس بشيء منها من عرف هذا منها ، وكيف لا يكون صحتها سقما وإنما صحتها من أخلاطها وأصح أخلاطها وأقربها من الحياة الدم ، وأظهر ما يكون الانسان دما أخلق ما يكون صاحبه بموت الفجأة ، والذبحة والطاعون (٢) والاكلة والبرسام ، وكيف لا تكون قوتها ضعفا وإنما تجمع القوى فيها ما يضره ويوبقه ، وكيف لا يكون عزها ذلا ولم يرفيها عز قط إلا أورث أهلها ذلا طويلا ، غير أن أيام الغر قصيرة ، وأيام الذل طويلة ، فأحق الناس بذم الدنيا من بسطت له الدنيا فأصاب حاجته منها ، فهو يتوقع كل يوم وليلة وساعة وطرفة عين أن يعدى على ماله فيحتاج ، وعلى حميمه فيختطف ، وعلى جمعه فينهب ،

---

(١) المربط - بفتح الباء وكسرها - موضع ربط الدواب .

(٢) الذبحة - بضم الذال وفتح الباء ، والعامة تسكن الباء - : ورم حار في العضلات من جانب الحلقوم التي بها يكون البلع . وقال العلامة : وقد يطلق الذبحة على الاختناق . والشيخ لا يفرق بينهما ، وقيل هي ورم اللوزتين (بحر الجواهر) .

وأن يؤتى بنيانه من القواعد فيهدم ، وأن يدب الموت إلى جسده فيستأصل ويفجع بكل ما هو به ضنين .

{ الحكمة : ٢ }

الدنيا هي المورثة بعد ذلك الجزع

فأذم إليك أيها الملك الدنيا الاخذة ما تعطي (١) ، والمورثة بعد ذلك التبعة ، السالبة لمن تكسو ، والمورثة بعد ذلك العرى ، المواضعة لمن ترفع ، والمورثة بعد ذلك الجزع ، التاركة لمن يعشقها ، والمورثة بعد ذلك الشقوة ، المغوية لمن أطاعها واغتر بها ، الغدارة بمن ائتمنها وركن إليها ، هي المركب القموص (٢) والصاحب الخؤون ، والطريق الزلق ، والمهبط المهوي ، هي المكرمة التي لا تكرم أحدا إلا أهانته ، المحبوبة التي لا تحب أحدا ، الملزومة التي لا تلزم أحدا ، يوفى لها وتغدر ، ويصدق لها وتكذب ، وينجز لها وتخلف ، هي المعوجة لمن استقام بها ، المتلاعبة بمن استمكنت منه (٣) .

---

(١) عن الامام علي عليه السلام قال : (الزاهد في الدنيا من لم يغلب الحرام صبره ولم يشغل الحلال شكره) .

ومن كتب لامير المؤمنين عليه السلام إلى عبد الله بن عباس : (أما بعد فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ، فليكن سرورك بما نلته من آخرتك وليكن أسفك على ما فاتك منها . وما نلته من الدنيا فلا تكثرن به فرحا . وما فاتك منها فلا تأسفن عليه حزنا . وليكن همك فيما بعد الموت) .

وقال عليه السلام في ذم الدنيا : (أولها عناء وآخرها فناء ، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب . من صح فيها أمن . ومن مرض فيها ندم . من استغنى فيها فتن . ومن افتقر فيها حزن . من ساعاها فاتته. ومن قعد عنها أتته . ومن نظر إليها أعمته . ومن نظر بها بصرته) (تحف العقول ص ٢٠١) .

(٢) القموص – على وزان جموش – وبمعناه .

(٣) في بعض النسخ : استمسكت .

بينا هي تطعمه إذ حولته مأكولا ، وبيناهي تخدمه إذ جعلته خادما ، وبيناهي تضحكه إذ ضحكت منه ، وبيناهي تشتمه إذ شمتت منه (١) وبيناهي تبكيه إذا بكت عليه ، وبيناهي قد بسطت يده بالعطية إذ بسطتها بالمسألة ، وبيناهو فيها عزيز إذ أذلته ، وبيناهو فيها مكرم إذ أهانته ، وبيناهو فيها معظم إذ صار محقورا ، وبيناهو فيها رفيع إذ وضعته ، وبيناهي له مطيعة إذ عصته ، وبينا هو فيها مسرور إذ أخزنته ، وبينا هو فيها شبعان إذ أجاعته ، وبينا هو فيها حي إذ أماتته .

فأف لها من دار إذ كان هذا فعالها ، وهذه صفتها ، تضع التاج على رأسه غدوة وتعفر خده بالتراب عشية ، وتجعلها في الاغلال غدوة تحلى الايدي بأسوره الذهب عشية ، وتجعلها في الاغلال غدوة وتقعد الرجل على السرير غدوة ، وترمي به في السجن عشية ، تفرش له الديباج عشية ، وتفرش له التراب غدوة ، وتجمع له الملاهي والمعازف غدوة ، وتجمع عليه النوائح والنوادب عشية تحبب إلى أهله قربه عشية وتحبب إليهم بعده غدوة ، تطيب ريحه غدوة وتنتن ريحه عشية ، فهو متوقع لسطواتها ، غير ناج من فتنتها وبلائها ، تمتع نفسه من أحاديثها وعينه من أعاجيبها ، ويده مملؤة من جمعها ، ثم تصبح الكف صفرا ، والعين هامدة ، ذهب ما ذهب ، وهوى ما هوى ، وبادماباد ، وهلك ما هلك (٢) ، تجد في كل

---

(١) في بعض النسخ : وبينا هي تشتتمه اذا شتمت منه . ولعل الصواب : بينا هي تسمنه اذ سمنت منه .

(٢) ومن مواعض قس بن ساعدة قال قس : (اجتمعوا أيها الناس ، فإذا اجتمعتم فأنصتوا ، فإذا أنصتم فاستمعوا ، فإذا أسمعتم فعوا ، فإذا وعيتم فاحفظوا ، فإذا حفظتم فاصدقوا ، ألا إن من عاش مات ، ومن مات فات ، ومن فات فليس بآت ، إن في السماء خبرا ، وفي الأرض عبرا ، سقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، ونجوم تمور ، وليل يدور ، وبحار ماء لا تغور ، يحلف قس ما هذا بلعب ، وإن من وراء هذا لعجبا ، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا ؟ يحلف قس يمينا غير كاذبة إن لله دينا هو خير من الدين الذي أنتم عليه) .

من كل خلفا ، وترضى بكل من كل بدلا ، تسكن دار كل قرن قرنا ، وتطعم سؤر كل قوم قوما ، تقعد الاراذل مكان الافاضل ، والعجزة مكان الحزمة (١) تنقل أقواما من الجدب إلى الخصب (٢) ، ومن الرجلة إلى المركب ومن البؤس إلى النعمة ، ومن الشدة إلى الرخاء ، ومن الشقاء إلى الخفض والدعة ، حتى إذا غمستهم في ذلك انقلبت بهم فسلبتهم الخصب ، ونزعت منهم القوة ، فعادوا إلى أبأس البؤس ، وأفقر الفقر ، وأجدب الجدب .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قس : رحم الله قسا يحشر يوم القيامة أمة واحدة ، ثم قال : هل فيكم أحد يحسن من شعره شيئا ؟. قال قس شعرا :

يا ناعي الموت والأموات في جدث ... عليهم من بقايا تربهم خرق

دعهم فإن لهم يوما يصاح بهم ... كما ينبه من نوماته الصعق

منهم عرات ومنهم في ثيابهم ... منها جديد ومنها الان ذو الخلق

مطر ونبات وآباء وأمهات ، وذاهب وآت ، وآيات في أثر آيات ، وأموات بعد أموات ، وضوء وظلام ، وليال وأيام ، وفقير وغني ، وسعيد وشقي ، ومحسن ومسئ ، أين الأرباب الفعلة ؟ ليصلحن كل عامل عمله ، كلا بل هو الله واحدا ليس بمولود ولا والد ، أعاد وابدئ ، وإليه المآب غدا ، أما بعد يا معشر إياد أين ثمود وعاد ؟ وأين الاباء والأجداد ؟ أين الحسن الذي لم يشكر ، والقبيح الذي لم ينقم ، كلا ورب الكعبة ليعودن ما بدا ، ولئن ذهب يوما ليعودن يوما) . (كمال الدين وتمام النعمة : ص١٦٧ ، بحار الانوار : ج١٥ ص١٨٤) .

(١) في بعض النسخ : الفجرة مكان البررة .

(٢) الجدب : القحط . مقابل الخصب .

{ الحكمة : ٣ }

فالطرق واحدة والقلوب مختلفة

فأما قولك أيها الملك في إضاعة الاهل وتركهم فإني لم أضيعهم ، ولم أتركهم ، بل وصلتهم وانقطعت إليهم ، ولكني كنت وأنا أنظر بعين مسحورة لا أعرف بها الاهل من الغرباء ، ولا الاعداء من الاولياء ، فلما انجلى عني السحر استبدلت بالعين المسحورة عينا صحيحة ، واستنبت الاعداء من الاولياء ، والاقرباء من الغرباء ، فإذا الذين كنت أعدهم أهلين وأصدقاء وإخوانا وخلطاء إنما هم سباع ضارية (١) لا همة لهم إلا أن تأكلني وتأكل بي ، غير أن اختلاف منازلهم في ذلك على قدر القوة ، فمنهم كالاسد في شدة السورة (٢) ومنهم كالذئب في الغارة والنهبة ، ومنهم كالكلب في الهرير والبصبصة ، ومنهم كالثعلب في الحيلة والسرقة ، فالطرق واحدة والقلوب مختلفة .

فلو أنك أيها الملك في عظيم ما أنت فيه من ملكك ، وكثرة من تبعك من أهلك وجنودك وحاشيتك وأهل طاعتك ، نظرت في أمرك عرفت أنك وحيد فريد ، ليس معك أحد من جميع أهل الارض ، وذلك أنك قد عرفت أن عامة الامم عدو لك ، وأن هذه الامة التي اوتيت الملك عليها كثيرة الحسد (٣) من أهل العداوة والغش لك الذين هم أشد عداوة لك من السباع الضارية ، وأشد حنقا عليك من كل الامم الغريبة ، وإذا صرت إلى أهل طاعتك ومعرفتك وقرابتك وجدت لهم قوما يعملون عملا بأجر معلوم ، يحرصون مع ذلك أن ينقصوك من

---

(١) الضاري من الكلاب : ما لهج بالصيد وتعود اكله .

(٢) السورة – بالفتح – : الحدو .

(٣) في بعض النسخ : الحشد وهو الجماعة .

العمل فيزدادوك من الاجر ، وإذا صرت إلى أهل خاصتك وقرابتك صرت إلى قوم جعلت كدك وكدحك (١) ومهنأك وكسبك لهم ، فأنت تؤدي إليهم كل يوم الضريبة ، وليس كلهم وإن وزعت بينهم جميع كدك عنك براض فإن أنت حبست عنهم ذلك فليس منهم البتة براض ، أفلا ترى أنك أيها الملك وحيد لا أهل لك ولا مال .

---

(١) الكد : السعي والجد . والكدح في العمل : المجاهدة فيه .

{ الحكمة : ٤ }

أنا لي أهلا ينصحوني وأنصحهم فلا غش بيننا

فأما أنا فإن لي أهلا ومالا وإخوانا وأخواتا وأولياء (١) ، لا يأكلوني ، ولا يأكلون بي ، يحبوني واحبهم ، فلا يفقد الحب بيننا ، ينصحوني وأنصحهم فلا

---

(١) قال الامام علي عليه السلام في وصفه للمتقين بعد حمد الله والثناء عليه : (إن المتقين في الدنيا هم أهل الفضائل ، منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع ، خضعوا لله بالطاعة ، غاضين أبصارهم عما حرم الله جل وعز ، واقفين أسماعهم على العلم ، نزلت منهم أنفسهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء رضى بالقضاء ، لولا الآجال التي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا إلى الثواب وخوفا من العقاب . عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها وهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة ومعونتهم للاسلام عظيمة . صبروا أياما قصارا فأعقبتهم راحة طويلة مربحة يسرها لهم رب كريم . أرادتهم الدنيا ولم يريدوها . وطلبتهم فأعجزوها . أما الليل فصافون أقدامهم ، تالون لاجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم. وتهيج أحزانهم بكاءا على ذنوبهم . ووجع كلومهم وجراحهم . فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا وتطلعت أنفسهم إليها شوقا وظنوا أنها نصب أعينهم . وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم فهم حانون على أوساطهم ومفترشون جباههم وأكفهم وأطراف الاقدام يطلبون إلى الله العظيم في فكاك رقابهم . أما النهار فحكماء علماء ، أبرار أتقياء ، قد براهم الخوف أمثال القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى ويقول : قد خولطوا وقد خالط القوم أمر عظيم إذا هم ذكروا عظمة الله تعالى وشدة سلطانه ، مع ما يخالطهم من ذكر الموت وأهوال القيامة أفزع ذلك قلوبهم وطاشت له أحلامهم وذهلت له عقولهم فإذا أشفقوا من ذلك بادروا إلى الله بالاعمال الزاكية لا يرضون باليسير ولا يستكثرون له الكثير . هم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون إذا زكي أحدهم خاف مما يقولون ، فيقول : أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم بي منى . اللهم

لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون إنك علام الغيوب . فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين . وخوفا في لين . وإيمانا في يقين. وحرصا في علم . وكيسا في رفق وشفقة في نفقة . وفهما في فقه . وعلما في حلم . وقصدا في غنى. وخشوعا في عبادة . وتجملا في فاقة وصبرا في شدة . ورحمة للمجهود وإعطاء في حق . ورفقا في كسب . وطلبا في حلال . ونشاطا في هدى وتحرجا عن طمع وبرا في استقامة واعتصاما عند شهوة . لا يغره ثناء من جهله . ولا يدع إحصاء عمله مستبطئا لنفسه في العمل . يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسي و همه الشكر . يصبح وهمه الذكر ، يبيت حذرا ويصبح فرحا . حذرا لما حذر من الغفلة . فرحا بما أصاب من الفضل والرحمة . إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما هويت فرحه فيما يحذر وقرة عينه فيما لا يزول. وزهادته فيما يفنى . يمزج الحلم بالعلم ويمزح العلم بالعمل . تراه بعيدا كسله ، دائما نشاطه ، قريبا أمله قليلا زلله ، خاشعا قلبه ، قانعة نفسه ، متغيبا جهله ، سهلا أمره ، حريزا دينه ، ميتة شهوته ، مكظوما غيظه ، صافيا خلقه ، لا يحدث الأصدقاء بالذي يؤتمن عليه ، ولا يكتم شهادة الأعداء ، لا يعمل شيئا رئاء ، ولا يتركه استحياء . الخير منه مأمول والشر منه مأمون ، إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين. يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه ، لا يعزب حلمه ، ولا يعجز فيما يزينه ، بعيدا فحشه ، لينا قوله ، غائبا مكره ، كثيرا معروفه ، حسنا فعله ، مقبلا خيره ، مدبرا شره . فهو في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور . لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، ولا يدعي ما ليس له ، ولا يجحد حقا هو عليه ، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ، لا يضيع ما استحفظ ، ولا ينابز بالألقاب ، لا يبغي ولا يهم به ، ولا يضار بالجار ، ولا يشمت بالمصائب سريع إلى الصواب ، مؤد للأمانات . بطئ عن المنكرات . يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . لا يدخل في الدنيا بجهل. ولا يخرج من الحق . إن صمت لم يغمه الصمت وإن ضحك لم يعل به الصوت . قانع بالذي له. لا يجمح به الغيظ . ولا يغلبه الهوى . ولا يقهره الشح . ولا يطمع فيما ليس له . يخالط الناس ليعلم . ويصمت ليسلم ويسأل ليفهم . لا ينصت للخير ليعجز به. ولا يتكلم به ليتجبر على من سواه ، إن بغي عليه صبر حتى يكون الله جل ذكره ينتقم له . نفسه منه في عناء والناس منه في رجاء . أتعب نفسه لآخرته وأراح الناس من نفسه . بعده عمن تباعد عنه بغض ونزاهة. و دنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعده تكبرا ولا عظمة . ولا دنوه خديعة ولا خلابة بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير . وهو إمام لمن خلفه من أهل البر). (تحف العقول : ص١٣٠)

غش بيننا ، ويصدقوني واصدقهم فلا تكاذب بيننا ، ويوالوني واواليهم فلا عداوة بيننا ، ينصروني وأنصرهم فلا تخاذل بيننا ، يطلبون الخير الذي إن طلبته معهم لم يخافوا أن أغلبهم عليه أو أستأثر به دونهم ، فلا فساد بيننا ولا تحاسد ، يعملون لي وأعمل لهم باجور لا تنفد ولا يزال العمل قائما بيننا ، هم هداتي إن ضللت ، ونور بصري إن عميت، وحصني إن اتيت ، ومجني أن رميت (١) وأعواني إذا فزعت ، وقد تنز هنا عن البيوت والمخاني (٢) فلا يزيدها وتركنا الذخاير والمكاسب لاهل الدنيا فلا تكاثر بيننا ، ولا تباغى ، ولا تباغض ، ولا تفاسد ، ولا تحاسد ، ولا تقاطع ، فهؤلاء أهلي أيها الملك وإخواني وأقربائي وأحبائي ، أحببتهم وانقطعت إليهم ، وتركت الذين كنت أنظر إليهم بالعين المسحورة لما عرفتهم ، والتمست السلامة منهم .

فهذه الدنيا أيها الملك التي أخبرتك أنها لا شيء فهذا نسبها وحسبها ومسيرها إلى ما قد سمعت ، قد رفضتها لما عرفتها ، وأبصرت الامر الذي هو الشيء فإن كنت تحب أيها الملك أن أصف لك ما أعرف عن أمر الاخرة التي هي الشيء فاستعد إلى السماع ، تسمع غير ما كنت تسمع به من الاشياء .

فلم يزده الملك عليه إلا أن قال له :

كذبت لم تصب شيئا ، ولم تظفر إلا بالشقاء والعناء ، فاخرج ولا تقيمن في شئ من مملكتي ، فإنك فاسد مفسد .

(١) المجن : الترس وكل ما وقى من السلاح .

(٢) لعله جع خان وهو الحانوت والفندق . وفي بعض النسخ : المخامي .

{ الحكمة : ٥ }

هذا الغلام ذا فضيلة في درجات الاخرة

وولد للملك في تلك الايام بعد إياسه من الذكور غلام لم يرالناس مولودا مثله قط حسنا وجمالا وضياء ، فبلغ السرور من الملك مبلغا عظيما كاد يشرف منه على هلاك نفسه من الفرح ، وزعم أن الاوثان التي كان يعبدها هي التي وهبت له الغلام ، فقسم عامة ما كان في بيوت أمواله على بيوت أوثانه ، وأمر الناس بالاكل والشرب سنة وسمى الغلام يوذاسف (١) .

وجمع العلماء والمنجمين لتقويم ميلاده ، فرفع المنجمون إليه أنهم يجدون الغلام يبلغ من الشرف والمنزلة مالا يبلغه أحد قط في أرض الهند ، واتفقوا على ذلك جميعا ، غير أن رجلا قال :

((ما أظن الشرف والمنزلة والفضل الذي وجدناه يبلغه هذا الغلام إلا شرف الاخرة ولا أحسبه إلا أن يكون إماما في الدين والنسك وذا فضيلة في درجات الاخرة لاني أرى الشرف الذي تبلغه ليس يشبه شيئا من شرف الدنيا وهو شبيه بشرف الاخرة)).

فوقع ذلك القول من الملك موقعا كاد أن ينغصه سروره بالغلام ، وكان المنجم الذي أخبره بذلك من أوثق المنجمين في نفسه وأعلمهم وأصدقهم عنده .

---

(١) كذا بالياء في جميع النسخ والمظنون ان تصحيف ، والصواب ((بوذاسف)) والكلمة مركبة من ((بوذا)) و ((سف)) وقيل : ((بوذا)) هو الاسم الديني لمؤسس الديانة البوذية ومعناه باللغة السنسكريتية : العالم الذي وصل الحصول على البوذة وهو العلم الكامل لكن لم اجد في موضع يدخله اداة التعريف وعلى ما قيل ليس باسم علم بل هو صفة ، وبناء عليه يجوز ان يدخله ((ال)) ويقال ((البوذا)) والعلم عند الله .

وأمر الملك للغلام بمدينة فأخلاها وتخير له من الظؤورة (١) والخدم كل ثقة وتقدم إليهم أن لا يذكر فيما بينهم موت ولا آخرة ولا حزن ولا مرض ولا فناء حتى تعتاد ذلك ألسنتهم وتنساه قلوبهم ، وأمرهم إذا بلغ الغلام أن لا ينطقوا عنده بذكر شئ مما يتخوفونه عليه خشية أن يقع في قلبه منه شئ فيكون ذلك داعية إلى اهتمامه بالدين والنسك ، وأن يتحفظوا ويتحرزوا من ذلك ، ويتفقد بعضهم من بعض ، وازداد الملك عند ذلك حنقا على النساك مخافة على ابنه .

وكان لذلك الملك وزير قد كفل أمره وحمل عنه مؤونة سلطانه ، وكان لا يخونه ولا يكذبه ولا يكتمه ، ولا يؤثر عليه ، ولا يتواني في شئ من علمه ، ولا يضيعه ، وكان الوزير مع ذلك رجلا لطيفا طلقا معروفا بالخير يحبه الناس ويرضون به إلا أن أحباء الملك وأقربائه كانوا يحسدونه ، ويبغون عليه ، ويست قلون بمكانه (٢) .

---

(١) جمع الظئر : المرضعة وفي بعض النسخ الظؤرة .

(٢) في بعض النسخ يستثلقون بمكانه .

{ الحكمة : ٦ }

كيف ترتق الكلام

ثم إن الملك خرج ذات يوم إلى الصيد ومعه ذلك الوزيرر فأتى به في شعب من الشعاب على رجل قد أصابته زمانة شديدة في رجليه ، ملقى في أصل شجرة لا يستطيع براحا (١) فسأله الوزير عن شأنه فأخبره أن السباع أصابته ، فرق له الوزير فقال له الرجل : ضمني إليك واحملني إلى منزلك فإنك تجد عندي منفعة

فقال الوزير : إني لفاعل وإن لم أجد عندك منفعة ، ولكن يا هذا ما المنفعة التي تعدينها ، هل تعمل عملا أو تحسن شيئا ؟

فقال الرجل : نعم أنا أرتق الكلام (٢) .

فقال : وكيف ترتق الكلام ؟

قال : إذا كان فيه فتق أرتقه حتى لا يجيئ من قبله فساد .

فلم ير الوزير قوله شيئا ، وأمر بحمله إلى منزله وأمر له بما يصلحه حتى إذ كان بعد ذلك احتال أحباء الملك للوزير وضربوا له الامور ظهرا وبطنا فا جمع رأيهم على أن دسوا رجلا منهم إلى الملك ، فقال له : أيها الملك إن هذا الوزير يطمع في ملكك أن يغلب عليه عقبك من بعدك فهو يصانع الناس على ذلك ، ويعمل عليه دائبا ، فإن أردت أن تعلم صدق ذلك فأخبره أنه قد بدالك أن ترفض الملك وتلحق بالنساك ، فإنك سترى من فرحه بذلك ما تعرف به أمره .

---

(١) أي لا يستطيع تحولا .

(٢) رتق الفتق : اصلحه يقال : هو راتق أي مصلح الامر .

وكان القوم قد عرفوا من الوزير رقة عند ذكر فناء الدنيا والموت ولينا للنساك وحبا لهم فعملوا فيه من الوجه الذي ظنوا أنهم يظفرون بحاجتهم منه ، فقال الملك : لئن هجمت منه على هذا لم أسأل عما سواه .

فلما أن دخل عليه الوزير قال له الملك : إنك قد عرفت حرصي على الدنيا وطلب الملك وإني ذكرت ما مضى من ذلك فلم أجد معي منه طائلا ، وقد عرفت أن الذى بقي منه كالذي مضى فإنه يوشك أن ينقضي ذلك كله بأجمعه فلا يصير في يدي منه شئ ، وأنا اريد أن أعمل في حال الاخرة عملا قويا على قدر ما كان من عملي في الدنيا وقد بدالي أن الحق بالنساك واخلي هذا العمل لاهله فما رأيك ؟ قال : فرق الوزير لذلك رقة شديدة حتى عرف الملك ذلك منه ، ثم قال : أيها الملك إن الباقي وإن كان عزيزا لاهل أن يطلب وإن الفاني وإن استمكنت منه لاهل أن يرفض ونعم الرأي رأيت ، وإني لارجو أن يجمع الله لك مع الدنيا شرف الاخرة .

قال : فكبر ذلك على الملك ووقع منه كل موقع ولم يبدله شيئا غير أن الوزير عرف الثقل في وجهه فانصرف إلى أهله كئيبا حزينا لا يدري من أين أتي ولا من دهاه (١) ولا يدري ما دواء الملك فيما استنكر عليه فسهر لذلك عامة الليل

(١) في بعض النسخ : ما دهاه .

{ الحكمة : ٧ }

من ههنا جاء الفتق وأنا أرتقه إن شاء اللّه

ثم ذكر الرجل الذي زعم أنه يرتق الكلام فأرسل إليه فاتي به فقال له : إنك كنت ذكرت لي ذكرا من رتق الكلام

فقال الرجل أجل فهل احتجت إلى شيء من ذلك ؟

فقال الوزير : نعم اخبرك أني صحبت هذا الملك قبل ملكه ومنذ صار ملكا فلم أستنكره فيما بيني وبينه قط لما يعرفه من نصيحتي وشفقتي وإيثاري إياه على نفسي وعلى جميع الناس ، حتى إذا كان هذا اليوم استنكرته استنكارا شديدا لا أظن خيرا عنده بعده .

فقال له الراتق : هل لذلك سبب أو علة .

قال الوزير : نعم دعاني أمس وقال لي كذا وكذا فقلت له كذا وكذا .

فقال : من ههنا جاء الفتق وأنا أرتقه إن شاء الله .

إعلم أن الملك قد ظن أنك تحب أن ينجلي هو عن ملكه وتخلفه أنت فيه فإذا كان عند الصبح فاطرح عنك ثيابك وحليتك وألبس أوضع ما تجده من ذي النساك واشهره ثم احلق رأسك وامض على وجهك إلى باب الملك فإن الملك سيدعو بك ويسألك عن الذي صنعت فقل له : هذا الذي دعوتني إليه ولا ينبغي لاحد أن يشير على صاحبه بشيء إلا واساه فيه وصبر عليه ، وما أظن الذي دعوتني إليه إلا خيرا مما نحن فيه ، فقم إذا بدالك ، ففعل الوزير ذلك فتخلى عن نفس الملك ما كان فيها عليه .

{ الحكمة : ٨ }

إن من خاف الموت أسرع بغير دابة

ثم أمر الملك بنفي النساك من جميع بلاده وتوعدهم بالقتل ، فجدوا في الهرب والاستخفاء ، ثم إن الملك خرج ذات يوم متصيدا فوقع بصره على شخصين من بعيد فأرسل إليهما فاتي بهما فاذا هما ناسكان فقال لهما : ما بالكما لن تخرجا من بلادي .

قالا : قد أتتنا رسلك ونحن على سبيل الخروج .

قال : ولم خرجتما راجلين .

قالا : لانا قوم ضعفاء ليس لنا دواب ولا زاد ولا نستطيع الخروج إلا بالتقصير.

قال الملك : إن من خاف الموت أسرع بغير دابة ، ولا زاد فقالا له : إنه لا نخاف الموت بل لا ننظر قرة عين في شيء من الاشياء إلا فيه .

قال الملك : وكيف لا تخافان الموت وقد زعمتما أن رسلنا لما أتتكم وأنتم على سبيل الخروج أفليس هذا هو الهرب من الموت ؟

قالا : إن الهرب من الموت ليس من الفرق (١) فلا تظن أنا فرقناك ولكنا هربنا من أن يعينك على أنفسنا ، فأسف الملك وأمر بهما أن يحرقا بالنار ، وأذن في أهل مملكته بأخذ النساك وتحريقهم بالنار فتجرد رؤساء عبدة الاوثان في طلبهم وأخذوا منهم بشرا كثيرا وأحرقوهم بالنار ، فمن ثم صار التحريق سنة باقية في أرض الهند ، وبقي في جميع تلك الارض قوم قليل من النساك كرهوا الخروج من البلاد ، واختاروا الغيبة والاستخفاء ليكونوا دعاة وهداة لمن وصلوا إلى كلامه.

---

(١) الفرق - محركة - : الخوف .

{ الحكمة : ٩ }

واوتى الغلام من العلم كان عند الناس من العجائب

فنبت ابن الملك أحسن نبات في جسمه وعقله وعلمه ورأيه ، ولكنه لم يؤخذ بشيء من الاداب إلا بما يحتاج إليه الملوك مما ليس فيه ذكر موت ولا زوال ولا فناء.

واوتى الغلام من العلم والحفظ شيئا كان عند الناس من العجائب ، وكان أبوه لا يدري أيفرح بما اوتي ابنه من ذلك أو يحزن له لما يتخوف عليه أن يدعوه ذلك إلى ما قيل فيه .

فلما فطن الغلام بحصرهم إياه في المدينة ومنعهم إياه من الخروج والنظر والاستماع وتحفظهم عليه ارتاب لذلك وسكت عنه وقال في نفسه هؤلاء أعلم بما يصلحني مني حتى إذا ازداد بالسن والتجربة علما قال :

ما أرى لهؤلاء علي فضلا وما أنا بحقيق أن اقلدهم أمري ، فأراد أن يكلم أباه إذا دخل عليه ويسأله عن سبب حصره إياه .

ثم قال : ما هذا الامر إلا من قبله وما كان ليطلعني عليه ولكني حقيق أن ألتمس علم ذلك من حيث أرجو إدراكه ، وكان في خدمه رجل كان ألطفهم به وأرأفهم به ، وكان الغلام إليه مستأنسا فطمع الغلام في إصابة الخبر من قبل ذلك الرجل فازداد له ملاطفة وبه استيناسا .

ثم إن الغلام واضعه الكلام في بعض الليل باللين وأخبره أنه بمنزلة والده وأولى الناس به ، ثم أخذه بالترغيب والترهيب .

وقال له : إني لاظن هذا الملك سائر لي بعد والدي وأنت فيه سائر أحد رجلين إما أعظم الناس فيه منزلة وإما أسوء الناس حالا .

قال له الحاضن (١) وبأي شئ أتخوف في ملكك سوء الحال .

قال : بأن تكتمني اليوم أمرا أفهمه غدا من غيرك ، فأنتقم منك بأشد ما أقدر عليك ، فعرف الحاضن منه الصدق وطمع منه في الوفاء فأفشى إليه خبره ، والذي قال المنجمون لابيه ، والذي حذر أبوه من ذلك ، فشكر له الغلام ذلك وأطبق عليه حتى إذا دخل عليه أبوه .

(١) الحاضن فاعل من حضنه أي جعله في حضنه - والحضن ما دون الابط الى الكشح او الصدر والعضدان - : أي الحافظ والمؤدب .

{ الحكمة : ١٠ }

وسيغيرك الدهر عن حالك هذه

قال : يا أبه إني وإن كنت صبيا فقد رأيت في نفسي واختلاف حالي أذكر من ذلك ما أذكر وأعرف بمالا أذكر منه ما أعرف وأنا أعرف أني لم أكن على هذا المثال وأنك لم تكن على هذه الحال ، ولا أنت كائن عليها إلى الابد وسيغيرك الدهر عن حالك هذه ، فلئن كنت أردت أن تخفي عني أمر الزوال فما خفي علي ذلك ، ولئن كنت حبستني عن الخروج وحلت بيني وبين الناس لكيلا تتوق نفسي إلى غير ما أنا فيه لقد تركتني بحصرك إياي ، وإن نفسي لقلقة مما تحول بيني وبينه حتى مالي هم غيره ، ولا أردت سواه ، حتى لا يطمئن قلبي إلى شيء مما أنا فيه ولا أنتفع به ولا آلفه ، فخل عني وأعلمني بما تكره من ذلك وتحذره حتى أجتنبه وأوثر موافقتك ورضاك على ما سواهما .

فلما سمع الملك ذلك من ابنه على أنه قد علم ما الذي يكرهه وأنه من حبسه وحصره لا يزيده إلا إغراء وحرصا على ما يحال بينه وبينه .

فقال : يا بني ما أردت بحصري إياك إلا أن انحي عنك الاذى ، فلا ترى إلا ما يوافقك ولا تسمع إلا ما يسرك ، فأما إذا كان هواك في غير ذلك فإن آثر الاشياء عندي ما رضيت وهويت .

ثم أمر الملك أصحابه أن يركبوه في أحسن زينة وأن ينحوا عن طريقه كل منظر قبيح ، وأن يعدوا له المعازف والملاهي ففعلوا ذلك ، فجعل بعد ركبته تلك يكثر الركوب .

{ الحكمة : ١١ }

إن هذا المورم من سقم باطن وهذا الاعمى من زمانة

فمر ذات يوم على طريق قد غفلوا عنه فأتى على رجلين من السؤال (١) أحدهما قد تورم وذهب لحمه ، واصفر جلده ، وذهب ماء وجهه ، وسمج منظره ، والاخر أعمى يقوده قائد ، فلما رأى ذلك اقشعر منهما وسأل عنهما فقيل له : إن هذا المورم من سقم باطن ، وهذا الاعمى من زمانة .

فقال ابن الملك : وإن هذا البلاء ليصيب غير واحد ؟

قالوا : نعم .

فقال : هل يأمن أحد من نفسه أن يصيبه مثل هذا ؟

قالوا : لا .

وانصرف يومئذ مهموما ثقيلا محزونا باكيا مستخفا بما هو فيه من ملكه وملك أبيه فلبث بذلك أياما .

(١) في بعض النسخ : فاتى عليه رجلان من السؤال .

{ الحكمة : ١٢ }

ما أسرع الشهر في السنة والسنة في العمر

ثم ركب ركبة فأتى في مسيره على شيخ كبير قد انحنى من الكبر ، وتبدل خلقه ، وابيض شعره ، واسود لونه ، وتقلص جلده (١) ، وقصر خطوه فعجب منه وسأل عنه .

فقالوا : هذا الهرم .

فقال : وفي كم يبلغ الرجل ما أرى ؟

قالوا : في مائة سنة أو نحو ذلك .

وقال : فما وراء ذلك ؟

قالوا : الموت .

قال : فما يخلى .

بين الرجل وبين ما يريد من المدة ؟

قالوا : لا وليصيرن إلى هذا في قليل من الايام .

فقال : الشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا وانقضاء العمر مائة سنة فما أسرع اليوم في الشهر ، وما أسرع الشهر في السنة ، وما أسرع السنة في العمر (٢) فانصرف الغلام ، وهذا كلامه يبديه ويعيده مكررا له .

---

(١) تقلص : أي انضم وانزوى .

(٢) وما يناسب الكلام ما رواي عن امير المؤمنين عليه السلام : ما أسرع الساعات في اليوم ، وأسرع الأيام في الشهر ، وأسرع الشهور في السنة ، وأسرع السنين « السنة » في العمر . (نهج البلاغة : الخطبة ١٨٨ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٣ ص٩٩) .

ثم سهر ليلته كلها وكان له قلب حي ذكي وعقل لا يستطيع معه نسيانا ولا غفلة ، فعلاه الحزن والاهتمام فانصرف نفسه عن الدنيا وشهواتها وكان في ذلك يداري أباه ويتلطف عنده وهو مع ذلك قد أصغى بسمعه إلى كل متكلم بكلمة طمع أن يسمع شيئا يدله على غير ما هو فيه ، وخلا بحاضنه الذي كان أفضى إليه بسره ، فقال له :

هل تعرف من الناس أحدا شأنه غير شأننا .

قال : نعم قد كان قوم يقال لهم : النساك ، رفضوا الدنيا وطلبوا الاخرة ، ولهم كلام ، وعلم لا يدرى ما هو ، غير أن الناس عادوهم وأبغضوهم وحرقوهم ونفاهم الملك عن هذه الارض ، فلا يعلم اليوم ببلادنا منهم أحد فإنهم قد غيبوا أشخاصهم ينتظرون الفرج ، وهذه سنة في أولياء الله قديمة يتعاطونها في دول الباطل .

فاغتص لذلك الخبر فؤاده ، وطال به اهتمامه ، وصار كالرجل الملتمس ضالته التي لا بدله منها ، وذاع خبره في آفاق الارض وشهر بتفكره وجماله وكماله وفهمه وعقله وزهادته في الدنيا وهوانها عليه .

{ الحكمة : ١٣ }

سلعة عظيمة تبصر العميان وتسمع الصم

فبلغ ذلك رجلا من النساك يقال له : بلوهر ، بأرض يقال لها : سرانديب ، وكان رجلا ناسكا حكيما فركب البحر حتى أتى أرض سولابط ، ثم عمد إلى باب ابن الملك فلزمه وطرح عنه زي النساك ولبس زي التجار وتردد إلى باب ابن الملك حتى عرف الاهل والاحباء والداخلين إليه ، فلما استبان له لطف الحاضن بابن الملك ، وحسن منزلته منه أطاف به بلوهر حتى أصاب منه خلوة ، فقال له :

إني رجل من تجار سرانديب ، قدمت منذ أيام ، ومعي سلعة عظيمة نفيسة الثمن ، عظيمة القدر ، فأردت الثقة لنفسي فعليك وقع اختياري ، وسلعتي خير من الكبريت الاحمر ، وهي تبصر العميان ، وتسمع الصم ، وتداوي من الاسقام ، وتقوي من الضعف ، وتعصم من الجنون ، وتنصر على العدو ، ولم أر بهذا أحدا هو أحق بها من هذا الفتى فإن رأيت أن تذكر له ذلك ذكرته فان كان له فيها حاجة ادخلتني عليه ، فإنه لم يخف عنه فضل سلعتي لو قد نظر إليها .

قال الحاضن : للحكيم إنك لتقول شيئا ما سمعنا به من أحد قبلك ولا أرى بك بأسا وما مثلي يذكر مالا يدري به ما هو ، فأعرض علي سلعتك أنظر إليها فإن رأيت شيئا ينبغي لي أن أذكره ذكرته .

قال له بلوهر : إني رجل طبيب وإني لارى في بصرك ضعفا فأخاف إن نظرت إلى سلعتي أن يلتمع بصرك ، ولكن ابن الملك صحيح البصر حدث السن ولست أخاف عليه أن ينظر إلى سلعتي فإن رأى ما يعجبه كانت له مبذولة على ما يحب ، وإن كان غير ذلك لم تدخل عليه مؤونة ولا منقصة ، وهذا أمر عظيم لا يسعك أن تحرمه إياه أو تطويه دونه

{ الحكمة : ١٤ }

زدتني في التحية على ما تصنع بغلمانك

فانطلق الحاضن إلى ابن الملك فأخبره خبر الرجل فحس قلب ابن الملك بأنه قد وجد حاجته .

فقال : عجل إدخال الرجل علي ليلا وليكن ذلك في سر وكتمان ، فإنه مثل هذا لا يتهاون به .

فأمر الحاضن بلوهر بالتهييء للدخول عليه .

فحمل معه سفطا فيه كتب له .

فقال الحاضن : ما هذا السفط ؟

قال بلوهر : في هذا السفط سلعتي فاذا شئت فأدخلني عليه فانطلق به حتى أدخله عليه فلما دخل عليه بلوهر سلم عليه وحياه وأحسن ابن الملك إجابته ، وانصرف الحاضن ، وقعد الحكيم عند الملك فأول ما قال له بلوهر :

رأيتك يا ابن الملك زدتني في التحية على ما تصنع بغلمانك وأشراف أهل بلادك ؟

قال ابن الملك : ذلك لعظيم ما رجوت عندك .

{ الحكمة : ١٥ }

ظاهره مزري وباطنه حكمة وعلما

قال بلوهر : لئن فعلت ذلك بي فقد كان رجلا من الملوك في بعض الافاق يعرف بالخير ويرجى فبينا هو يسير يوما في موكبه إذ عرض له في مسيره رجلان ماشيان ، لباسهما الخلقان ، وعليهما أثر البؤس والضر ، فلما نظر إليهما الملك لم يتمالك أن وقع على الارض فحياهما وصافحهما ، فلما رأى ذلك وزراؤه اشتد جزعهم مما صنع الملك فأتوا أخا له وكان جريا عليه فقالوا : إن الملك أزرى بنفسه ، وفضح أهل مملكته ، وخر عن دابته لانسانين دنيين ، فعاتبه على ذلك كيلا يعود ، ولمه على ما صنع ، ففعل ذلك أخ الملك فأجابه الملك بجواب لا يدري ما حاله فيه أساخط عليه الملك أم راض عنه ، فانصرف إلى منزله حتى إذا كان بعد أيام أمر الملك مناديا وكان يسمى منادي الموت فنادى في فناء داره ، وكانت تلك سنتهم فيمن أرادوا قتله ، فقامت النوائح والنوادب في دار أخ الملك ولبس ثياب الموتى وانتهى إلى باب الملك وهو يبكي بكاء شديدا ونتف شعره ، فلما بلغ ذلك الملك دعابه ، فلما أذن له الملك دخل عليه ووقع على الارض ونادى بالويل والثبور ورفع يده بالتضرع فقال له الملك :

اقترب أيها السفيه أنت تجزع من مناد نادى من بابك بأمر مخلوق وليس بأمر خالق ، وأنا أخوك وقد تعلم أنه ليس لك إلي ذنب أقتلك عليه ، ثم أنتم تلومونني على وقوعي إلى الارض حين نظرت إلى منادي ربي إلي وأنا أعرف منكم بذنوني ، فاذهب فإني قد علمت أنه إنما استغرك وزرائي وسيعلمون خطأهم .

ثم أمر الملك بأربعه توابيت فصنعت له من خشب فطلا تابوتين منها بالذهب وتابوتين بالقار ، فلما فرغ منها ملا تابوتي القار ذهبا وياقوتا وزبر جدا وملا

تابوتي الذهب جيفا ودما وعذرة وشعرا ، ثم جمع الوزراء والاشراف الذين ظن أنهم أنكروا صنيعه بالرجلين الضعيفين الناسكين فعرض عليهم التوابيت الاربعة وأمرهم بتقويمها ، فقالوا : أما في ظاهر الامر وما رأينا ومبلغ علمنا فإن تابوتي الذهب لاثمن لهما لفضلهما وتابوتي القار لا ثمن لهما لرذالتهما .

فقال الملك : أجل هذا لعلمكم بالاشياء ومبلغ رأيكم فيها .

ثم أمر بتابوتي القار فنزعت عنهما صفايحهما فأضاء البيت بما فيها من الجواهر فقال : هذا مثل الرجلين الذين ازدريتم لباسهما وظاهرهما وهما مملو ان علما وحكمة وصدقا وبرا وسائر مناقب الخير الذي هو أفضل من الياقوت واللؤلؤ والجوهر والذهب .

ثم أمر بتابوتي الذهب فنزع عنهما أبوابهما فاقشعر القوم من سوء منظرهما وتاذوا بريحهما ونتنهما .

فقال الملك وهذان مثل القوم المتزينين بظاهر الكسوة واللباس وأجوافهما مملوة جهالة وعمى وكذبا وجورا وسائر أنواع الشر التي هي أفضع وأشنع وأقذر من الجيف .

قال القوم : قد فقهنا واتعظنا أيها الملك .

{ الحكمة : ١٦ }

الزارع حامل الحكمة والبذر ففنون الكلام

ثم قال بلوهر : هذا مثلك يا ابن الملك فيما تلقيتني به من التحية والبشر .

فانتصب يوذاسف ابن الملك وكان متكئا ، ثم قال : زدني مثلا قال الحكيم :

إن الزارع خرج ببذره الطيب ليبذره ، فلما ملا كفه ونثره وقع بعضه على حافة الطريق فلم يلبثان أن التقطه الطير ووقع بعضه على صفاة قد أصابها ندى وطين ، فمكث حتى اهتز .

فلما صارت عروقه إلى يبس الصفاة مات ويبس ، ووقع بعضه بأرض ذات شوك فنبت حتى سنبل ، وكاد أن يثمر فمنعه الشوك فأبطله ، وأما ما كان منه وقع في الارض الطيبة وإن كان قليلا فإنه سلم وطاب وزكى ، فالزارع حامل الحكمة ، وأما البذر ففنون الكلام ، وأما ما وقع منه على حافة الطريق فالتقطه الطير فمالا يجاوز السمع منه حتى يمر صفحا ، وأما ماوقع على الصخرة في الندى فيبس حين بلغت عروقه الصفاة فما استحلاه صاحبه حتى سمعه بفراغ قلبه وعرفه بفهمه ولم يفقه بحصافة ولايته ، وأما ما نبت منه وكاد أن يثمر فمنعه الشوك فأهلكه فماوعاه صاحبه حتى إذا كان عند العمل به حفته الشهوات فأهلكته ، وأما مازكي وطاب .

وسلم منه وانتفع به رآه البصر ووعاه الحفظ ، وأنفذه العزم بقمع الشهوات وتطهير .

القلوب من دنسها .

قال ابن الملك : إني أرجو أن يكون ما تبذره أيها الحكيم ما يزكو ويسلم ويطيب فاضرب لي مثل الدنيا وغرور أهلها بها .

{ الحكمة : ١٧ }

اما البئر فالدنيا مملوة آفات وبلايا وشرور

قال بلوهر : بلغنا أن رجلا حمل عليه فيل مغتلم (١) فانطلق موليا هاربا وأتبعه الفيل حتى غشيه فاضطره إلى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفير البئر ووقعت قدماه على رؤوس حيات ، فلما تبين له الغصنين فإذا في أصلهما جرذان يقرضان الغصنين أحدهما أبيض والاخر أسود ، فلما نظر إلى تحت قدميه ، فإذا رؤس أربع أفاع قد طلعن من جحرهن ، فلما نظر إلى قعر البئر إذا بتنين فاغر فاه (٢) نحوه يريد التقامه ، فلما رفع رأسه إلى أعلا الغصنين إذا عليهما شي ء من عسل النحل فتطعم من ذلك العسل فألهاه ما طعم منه ، وما نال من لذة العسل وحلاوته عن الفكر في أمر الافاعي اللواتي لا يدري متى يبادرنه وألهاه عن التنين الذي لا يدري كيف مصيره بعد وقوعه في لهواته .

أما البئر فالدنيا مملوة آفات وبلايا وشرور ، وأما الغصنان فالعمر ، وأما الجرذان فالليل والنهار يسرعان في الاجل ، وأما الافاعي الاربعة فالاخلاط الاربعة التي هي السموم القاتلة من المرة والبلغم والريح والدم التي لا يدري صاحبها متى تهيج به ، وأما التنين الفاغرفاه ليلتقمه فالموت الراصد الطالب ، وأما العسل الذي اغتر به المغرور فما ينال الناس من لذة الدنيا وشهواتها ونعيمها ودعتهامن لذة المطعم والمشرب والشم واللمس والسمع والبصر .

قال ابن الملك : إن هذا المثل عجيب وأن هذا التشبيه حق ، فزدني مثلا للدنيا وصاحبها المغرور بها المتهاون بما ينفعه فيها ؟

---

(١) أي شديد الشهوة ، يعني فيل مست ، اغتلم الشراب : اشتدت سورته .

(٢) الفاغر : الفاتح فاه .

{ الحكمة : ١٨ }

القرين الصالح

قال بلوهر ، زعموا أن رجلا كان له ثلاثة قرناء ، وكان قد آثر أحدهم على الناس جميعا ، ويركب الاهوال والاخطار بسببه ويغرر بنفسه له (١) ، ويشغل ليله ونهاره في حاجته ، وكان القرين الثاني دون الاول منزلة وهو على ذلك حبيب إليه مشفق عنده ، ويكرمه ويلاطفه ويخدمه ويطيعه ويبذل له ولا يغفل عنه ، وكان القرين الثالث محقورا مستثقلا ، ليس له من وده وماله إلا أقله حتى إذا نزل بالرجل الامر الذي يحتاج فيه إلى قرنائه الثلاثة ، فأتاه جلاوزة الملك ليذهبوا به ففزع إلى قرينه الاول فقال له : قد عرفت إيثاري إياك وبذل نفسي لك ، وهذا اليوم يوم حاجتي إليك فماذا عندك ؟ قال : ما أنا لك بصاحب وإن لي أصحابا يشغلوني عنك ، هم اليوم أولى بي منك ولكن لعلي ازودك ثوبين لتنتفع بهما .

ثم فزع إلى قرينه الثاني ذي المحبة واللطف ، فقال له : قد عرفت كرامتي إياك ولطفي بك وحرصي على مسرتك ، وهذا يوم حاجتي إليك فماذا عندك ؟

فقال : إن أمر نفسي يشغلني عنك وعن أمرك ، فاعمد لشأنك ، واعلم أنه قد انقطع الذي بيني وبينك وأن طريقي غير طريقك إلا أني لعلي أخطومعك خطوات يسيرة لا تنتفع بها ، ثم أنصرف إلى ماهو أهم إلي منك .

ثم فزع إلى قرينه الثالث الذي كان يحقره ويعصيه ولا يلتفت إليه أيام رخائه فقال له : إني منك لمستح ولكن الحاجة اضطرتني إليك فماذا لي عندك ؟ قال :

---

(١) الغرور : هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان ، وهو نوع من الجهل ، فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الاجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور . والغرور منبعغ كل هلكة وام كل شقاوة .

لك عندي المواساة ، والمحافظة عليك ، وقلة الغفلة عنك ، فابشر وقر عينا فإني صاحبك الذي لا يخذلك ولا يسلمك ، فلا يهمك قلة ما أسلفتني واصطنعت إلي ، فإني قد كنت أحفظ لك ذلك وأوفره عليك كله ، ثم لم أرض لك بعد ذلك به حتى اتجرت لك به فربحت أرباحا كثيرة ، فلك اليوم عندي من ذلك أضعاف ما وضعت عندي منه فأبشر ، وإني أرجو أن يكون في ذلك رضي الملك عنك اليوم وفرجا مما أنت فيه فقال الرجل عند ذلك : ما أدري على أي الامرين أنا أشد حسرة عليه على ما فرطت في القرين الصالح أم على ما اجتهدت فيه من المحبة لقرين السوء ؟ .

قال بلوهر : فالقرين الاول هو المال والقرين الثاني هو الاهل والولد ، والقرين الثالث هو العمل الصالح .

قال ابن الملك : إن هذا هو الحق المبين فزدني مثلا للدنيا وغرورها وصاحبها المغرور بها ، المطمئن إليها .

{ الحكمة : ١٩ }

الرجل الغريب الجاهل

قال بلوهر : كان أهل مدينة يأتون الرجل الغريب الجاهل بأمرهم فيملكونه عليهم سنة فلا يشك أن ملكه دائم عليهم لجهالته بهم فإذا انقضت السنة أخرجوه من مدينتهم عريانا مجردا سليبا ، فيقع في بلاء وشقاء لم يحدث به نفسه ، فصار ما مضى عليه من ملكه وبالا وحزنا ومصيبة وأذى ، ثم إن أهل المدينة أخذوا رجلا آخر فملكوه عليهم فلما رأى الرجل غربته فيهم لم يستأنس بهم وطلب رجلا من أهل أرضه خبيرا بأمرهم حتى وجده فأفضى إليه بسر القوم وأشار إليه أن ينظر إلى الاموال التي في يديه فيخرج منها ما استطاع الاول فالاول حتى يحرزه في المكان الذي يخرجونه إليه فإذا أخرجه القوم صار إلى الكفاية والسعة بما قدم وأحرز ، ففعل ما قال له الرجل ولم يضيع وصيته .

قال بلوهر : وإني لارجو أن تكون ذلك الرجل يا ابن الملك الذي لم يستأنس بالغرباء ولم يغتر بالسلطان ، وأنا الرجل الذي طلبت ولك عندي الدلالة والمعرفة والمعونة .

قال ابن الملك : صدقت أيها الحكيم أنا ذلك الرجل وأنت ذلك الرجل وأنت طلبتي التي كنت طلبتها فصف لي أمر الاخرة تاما ، فأما الدنيا فلعمري لقد صدقت ولقد رأيت منها ما يدلني على فنائها ويزهدني فيها ، ولم يزل أمرها حقيرا عندي .

{ الحكمة : ٢٠ }

الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة إلي الاخرة

قال بلوهر : إن الزهادة في الدنيا يا ابن الملك مفتاح الرغبة إلى الاخرة ، ومن طلب الاخرة فأصاب بابها دخل ملكوتها وكيف لا تزهد في الدنيا وقد آتاك الله من العقل ما آتاك ، وقد ترى أن الدنيا كلها وإن كثرت إنما يجمعها أهلها لهذه الاجساد الفانية ، والجسد لاقوام له ، ولا امتناع به ، فالحر يذيبه ، والبرد يجمده ، والسموم يتخلله ، والماء يغرقه ، والشمس تحرقه ، والهواء يسقمه ، والسباع يفترسه ، والطير تنقره ، والحديد يقطعه ، والصدم يحطمه ، ثم هو معجون بطينة من ألوان الاسقام والاوجاع والامراض ، فهو مرتهن بها ، مترقب لها ، وجل منها ، غير طامع في السلامة منها ، ثم هو مقارن الافات السبع التي لا يتخلص منها ذوجسد وهي الجوع والظمأ والحر والبرد والوجع والخوف والموت .

فأما ما سألت منه من الامر الاخرة ، فإني أرجو أن تجد ما تحسبه بعيدا قريبا ، وما كنت تحسبه عسيرا يسيرا ، وما كنت تحسبه قليلا كثيرا .

{ الحكمة : ٢١ }

يصدق ولا يكذب ويبتلى فيصبر

قال ابن الملك : أيها الحكيم أرأيت القوم الذين كان والدي حرقهم بالنار ونفاهم أهم أصحابك ؟

فقال : نعم .

قال : فإنه بلغني أن الناس اجتمعوا على عداوتهم وسوء الثناء عليهم .

قال بلوهر : نعم قد كان ذلك .

قال : فما سبب ذلك أيها الحكيم ؟

قال بلوهر : أما قولك يا ابن الملك في سوء الثناء عليهم فما عسى أن يقولون فيمن يصدق ولا يكذب ، ويعلم ولا يجهل ، ويكف ولا يؤذي ، ويصلي ولا ينام ، ويصوم ولا يفطر ، ويبتلى فيصبر ، ويتفكر فيعتبر ، ويطيب نفسه عن الاموال والاهلين ، ولا يخافهم الناس على أموالهم وأهليهم .

قال ابن الملك : فكيف اتفق الناس على عداوتهم وهم فيما بينهم مختلفون ؟

{ الحكمة : ٢٢ }

الجيفة متاع الدنيا

قال بلوهر : مثلهم في ذلك مثل كلاب اجتمعوا على جيفة تنهشها ويهار بعضها بعضا ، مختلفة الالوان والاجناس فبينا هي تقبل على الجيفة ازدنى رجل منهم فترك بعضهن بعضا أقبلن على الرجل فيهرن عليه جميعا معاويات عليه وليس للرجل في جيفتهن حاجة ولا أراد أن ينازعهن فيها ، ولكن هن عرفن غربته منهن فاستوحشن منه واستأنس بعضهن ببعض وإن كن مختلفات متعاديات فيما بينهن من قبل أن يرد الرجل عليهن .

قال بلوهر : فمثل الجيفة متاع الدنيا ومثل صنوف الكلاب ضروب الرجال الذين يقتتلون على الدنيا ويهرقون دماءهم وينفقون لها أموالهم ، ومثل الرجل الذي اجتمعت عليه الكلاب ولا حاجة له في جيفهن كمثل صاحب الدين الذي رفض الدنيا وخرج منها ، فليس ينازع فيها أهلها ولا يمنع ذلك الناس من أن يعادونه لغربته عندهم ، فإن عجبت فاعجبت من الناس أنهم لا همة لهم إلا الدنيا وجمعها والتكاثر والتفاخر والتغالب عليها حتى إذا رأوا من قد تركها في أيديهم وتخلى عنها كانوا له أشد قتالا عليه وأشد حنقا منهم للذي يشاحهم عليها فأي حجة لله .

يا ابن الملك أدحض من تعاون المختلفين على من لا حجة لهم عليه ؟

قال ابن الملك أعمد لحاجتي .

{ الحكمة : ٢٣ }

الطبيب الرفيق

قال بلوهر : إن الطبيب الرفيق إذ رأى الجسد قد أهلكته الاخلاط الفاسدة فأراد أن يقويه ويسمنه لم يغذه بالطعام الذي يكون منه اللحم والدم والقوة لانه يعلم أنه متى أدخل الطعام على الاخلاط الفاسدة أضر بالجسد ولم ينفعه ولم يقوه ، ولكن يبدأ بالادوية والحمية من الطعام .

فإذا أذهب من جسده الاخلاط الفاسدة أقبل عليه بما يصلحه من الطعام فحينئذ يجد طعم الطعام ويسمن ويقوي ويحمل الثقل بمشية الله عز وجل .

{ الحكمة : ٢٤ }

أكل المضطر المستقل

وقال ابن الملك أيها الحكيم : أخبرني ماذا تصيب من الطعام والشراب ؟

قال الحكيم : زعموا أن ملكا من الملوك كان عظيم الملك كثير الجند والاموال وأنه بداله أن يغزو ملكا آخر ليزداد ملكا إلى ملكه ومالا إلى ماله ، فسار إليه بالجنود والعدد والعدة ، والنساء والاولاد والاثقال ، فأقبلوا نحوه فظهروا عليه واستباحوا عسكره فهرب وساق امرأته وأولاده صغارا فألجأه الطلب عند المساء إلى أجمة على شاطئ النهر فدخلها مع أهله وولده وسيب دوابه مخافة أن تدل عليه بصهيلها فبأتوا في الاجمة وهم يسمعون وقع حوافر الخيل من كل جانب فأصبح الرجل لا يطيق براحا ، وأما النهر فلا يستطيع عبوره ، وأما الفضاء فلا يستطيع الخروج إليه لمكان العدو ، فهم في مكان ضيق قد أذاهم البرد وأهجرهم الخوف وطواهم الجوع ، وليس لهم طعام ولا معهم زاد ولا إدام ، وأولاده ضعار جياع يبكون من الضر الذي قد أصابهم فمكث بذلك يومين ، ثم إن أحد بنيه مات فألقوه في النهر فمكث بعد ذلك يوما آخر فقال الرجل لامرأته إنا مشرفون على الهلاك جميعا وإن بقي بعضنا وهلك بعضنا كان خيرا من أن نهلك جميعا وقد رأيت أن أعجل ذبح صبي من هؤلاء الصبيان فنجعله قوتا لنا ولاولادنا إلى أن يأتي الله عز وجل بالفرج فإن أخرنا ذلك هزل الصبيان حتى لا يشبع لحومهم وتضعف حتى لا نستطيع الحركة ان وجدنا إلى ذلك سبيلا ، وطاوعته امرأته فذبح بعض أولاده ووضعوه بينهم ينهشونه ، فما ظنك يا ابن الملك بذلك المضطر أأكل الكلب المستكثر يأكل ؟ أم أكل المضطر المستقل ؟

قال ابن الملك : بل أكل المستقل ، قال الحكيم : كذلك أكلي وشربي يا ابن الملك في الدنيا .

{ الحكمة : ٢٥ }

داع لهم إلي طاعة ربهم

فقال له ابن الملك : أرأيت هذا الذي تدعوني إليه أيها الحكيم أهو شيء نظر الناس فيه بعقولهم وألبابهم حتى اختاروه على ما سواه لانفسهم أم دعاهم الله إليه فأجابوا .

قال الحكيم : علا هذا الامر ولطف عن أن يكون من أهل الارض أو برأيهم دبروه ، ولو كان من أهل الارض لدعوا إلى عملها وزينتها وحفظها ودعتها ونعيمها ولذتها ولهوها ولعبها وشهواتها ، ولكنه أمر غريب ودعوة من الله عز وجل ساطعة ، وهدى مستقيم ناقض على أهل الدنيا أعمالهم ، مخالف لهم ، عائب عليهم ، وطاعن ناقل لهم عن أهوائهم ، داع لهم إلى طاعة ربهم ، وإن ذلك لبين لمن تنبه ، مكتوم عنده عن غير أهله حتى يظهر الله الحق بعد خفائه ويجعل كلمته العليا وكلمة الذين جهلوا السفلى .

قال ابن الملك صدقت أيها الحكيم .

{ الحكمة : ٢٦ }

تفكر بعقله فأصاب

ثم قال الحكيم : إن من الناس من تفكر قبل مجيئ الرسل عليهم السلام فأصاب ، ومنهم من دعته الرسل بعد مجيئها فأجاب وأنت يا ابن الملك ممن تفكر بعقله فأصاب .

قال ابن الملك : فهل تعلم أحدا من الناس يدعو إلي التزهيد في الدنيا غيركم ؟

قال الحكيم : أما في بلادكم هذه فلا وأما في سائر الامم ففيهم قوم ينتحلون الدين بألسنتهم ولم يستحقوه بأعمالهم ، فاختلف سبيلنا وسبيلهم .

{ الحكمة : ٢٧ }

المفسد لا يكون كالمصلح

قال ابن الملك : كيف صرتم أولى بالحق منهم (١) وإنما أتاكم هذا الامر الغريب من حيث أتاهم ؟

قال الحكيم : الحق كله جاء من عند الله عز وجل وإنه تبارك وتعالى دعا العباد إليه فقبله قوم بحقه وشروطه حتى أدوه إلى أهله كما امروا ، لم يظلموا ولم يخطئوا ولم يضيعوا ، وقبله آخرون فلم يقوموا بحقه وشروطه ، ولم يؤدوه إلى أهله ، ولم يكن لهم فيه عزيمة ، ولا على العمل به نية ضمير ، فضيعوه واستثقلوه فالمضيع لا يكون مثل الحافظ ، والمفسد لا يكون كالمصلح ، والصابر لا يكون كالجازع ، فمن ههنا كنا نحن أحق به منهم وأولى .

ثم قال الحكيم : إنه ليس يجري على لسان أحد منهم من الدين والتزهيد والدعاء إلى الاخرة إلا وقد اخذ ذلك عن أصل الحق (٢) الذي عنه أخذنا ، ولكنه فرق بيننا وبينهم أحداثهم التي أحدثوا وابتغاؤهم الدنيا وإخلادهم إليها ، وذلك أن هذه الدعوة لم تزل تأتي وتظهر في الارض مع أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم في القرون الماضية على ألسنة مختلفة متفرقة ، وكان أهل دعوة الحق أمرهم مستقيم ، وطريقهم واضح ، ودعوتهم بينة ، لا فرقة فيهم ولا اختلاف ، فكانت الرسل عليهم السلام إذا بلغوا رسالات ربهم ، واحتجوا لله تبارك وتعالى على عباده بحجة وإقامة معالم الدين وأحكامه ، قبضهم الله عز وجل إليه عند انقضاء آجالهم ومنتهى مدتهم ، ومكثت الامة من الامم بعد نبيها برهة من دهرها

---

(١) في بعض النسخ : فيما جعلكم الله اولى بالحق منهم .

(٢) في بعض النسخ : اهل الحق .

لا تغير ولا تبدل ثم صار الناس بعد ذلك يحدثون الاحداث ويبتغون الشهوات ، ويضيعون العلم ، فكان العالم البالغ المستبصر منهم يخفى شخصه ولا يظهر علمه ، فيعرفونه باسمه ولا يهتدون إلى مكانه ولا يبقى منهم إلا الخسيس من أهل العلم ، يستخف به أهل الجهل والباطل ، فيخمل العلم ويظهر الجهل ، وتتناس القرون فلا يعرفون إلا الجهل ، ويزداد الجهال استعلاء وكثرة ، والعلماء خمولا وقلة ، فحولوا معالم الله تبارك وتعالى عن وجوهها ، وتركوا قصد سبيلها ، وهم مع ذلك مقرون بتنزيله ، متبعون شبهه ابتغاء تأويله ، متعلقون بصفته ، تاركون لحقيقته ، نابذون لاحكامه ، فكل صفة جاءت الرسل تدعوا إليها فنحن لهم موافقون في تلك الصفة ، مخالفون لهم في أحكامهم وسيرتهم ، ولسنا نخالفهم في شيء إلا ولنا عليهم الحجة الواضحة والبينة العادلة من نعت ما في أيديهم من الكتب المنزلة من الله عز وجل فكل متكلم منهم يتكلم بشئ من الحكمة فهي لنا وهي بيننا وبينهم تشهد لنا عليهم بأنها توافق صفتنا وسيرتنا وحكمنا وتشهد عليهم بأنها مخالفة لسنتهم وأعمالهم ، فليسوا يعرفون من الكتاب إلا وصفه ، ولا من الذكر إلا اسمه ، فليسوا بأهل الكتاب حقيقة حتى يقيموه .

{ الحكمة : ٢٨ }

لماذا الانبياء يأتون في زمان دون زمان

قال ابن الملك : فما بال الانبياء والرسل عليهم السلام يأتون في زمان دون زمان ؟

قال الحكيم : إنما مثل ذلك كمثل ملك كانت له أرض موات لا عمران فيها ، فلما أراد أن يقبل عليها بعمارته أرسل إليها رجلا جلدا أمينا ناصحا ، ثم أمره أن يعمر تلك الارض وأن يغرس فيها صنوف الشجر وأنواع الزرع ، ثم سمى له الملك ألوانا من الغرس معلومة ، وأنواعا من الزرع معروفة ، ثم أمره أن لا يعدو ما سمى له وأن لا يحدث فيها من قبله شيئا لم يكن أمره به سيده ، وأمره أن يخرج لها نهرا ويسد عليها حائطا ، ويمنعها من أن يفسدها مفسد ، فجاء الرسول الذي أرسله الملك إلى تلك الارض فأحياها بعد موتها وعمرها بعد خرابها ، وغرس فيها وزرع من الصنوف التي أمره بها ، ثم ساق نهر الماء إليها حتى نبت الغرس واتصل الزرع ، ثم لم يلبث قليلا حتى مات قيمها ، وأقام بعده من يقوم مقامه وخلف من بعده خلف خالفوا من أقامه القيم بعده وغلبوه على أمره ، فأخربوا العمران ، وطموا الانهار ، فيبس الغرس ، وهلك الزرع ، فلما بلغ الملك خلافهم على القيم بعد رسوله وخراب أرضه أرسل إليها رسولا آخر يحييها ويعيدها ويصلحها كما كانت في منزلتها الاولى ، وكذلك الانبياء والرسل عليهم السلام يبعث الله عز وجل الواحد بعد الواحد فيصلح أمر الناس بعد فساده .

{ الحكمة : ٢٩ }

ان الانبياء يستعرضون الناس جميعا بدعائهم

قال ابن الملك أيخص الانبياء والرسل عليهم إذا جاءت بما يبعث به أم تعم ؟ .

قال بلوهر : إن الانبياء والرسل إذا جاءت تدعوا عامة الناس فمن أطاعهم كان منهم ، ومن عصاهم لم يكن منهم ، وما تخلو الارض قط من أن يكون لله عز وجل فيها مطاع من أنبيائه ورسله ومن أوصيائه ، وإنما مثل ذلك مثل طائر كان في ساحل البحر يقال له قدم (١) يبيض بيضا كثيرا وكان شديد الحب للفراخ وكثرتها ، وكان يأتي عليه زمان يتعذر عليه فيه ما يريده من ذلك ، فلا يجد بدا من اتخاذ أرض اخرى حتى يذهب ذلك الزمان فيأخذ بيضه مخافة عليه من أن يهلك من شفقته فيفرقه في أعشاش الطير فتحضن الطير بيضته مع بيضتها وتخرج فراخه مع فراخها ، فإذا طال مكث فراخ قدم مع فراخ الطير ألفها بعض فراخ الطير واستأنس بها فإذا كان الزمان الذي ينصرف فيه قدم إلى مكانه مر بأعشاش الطير وأو كارها بالليل فأسمع فراخه وغيرها صوته فإذا سمعت فراخه صوته تبعته وتبع فراخه ما كان ألفها من فراخ سائر الطير ولم يجبه ما لم يكن من فراخ ولا ما لم يكن ألف فراخه وكان قد يضم إليه من أجابه من فراخه حبا للفراخ ، وكذلك الانبياء إنما يستعرضون الناس جميعا بدعائهم فيجيبهم أهل الحكمة والعقل لمعرفتهم لفضل الحكمة ، فمثل الطير الذي دعا بصوته مثل الانبياء والرسل التي تعم الناس بدعائهم ، ومثل البيض المتفرق في أعشاش الطير مثل الحكمة ، ومثل سائر فراخ الطير التي ألفت فراخ قدم مثل من أجاب الحكماء قبل مجيئ الرسل ، لان الله عز وجل جعل لانبيائه ورسله من الفضل والرأي ما لم يجعل لغيرهم من

---

(١) في بعض النسخ : قرم ولعل الصواب ((قرلي)) .

الناس ، وأعطاهم من الحجج والنور والضياء ما لم يعط غيرهم ، وذلك لما يريد من بلوغ رسالته ومواقع حججه ، وكانت الرسل إذا جاءت وأظهرت دعوتها أجابهم من الناس أيضا من لم يكن أجاب الحكماء وذلك لما جعل الله عز وجل على دعوتهم من الضياء والبرهان .

{ الحكمة : ٣٠ }

الحكمة مفتاح كل خير النجاة من كل شر

قال ابن الملك : أفرأيت ما يأتي به الرسل والانبياء إذ زعمت أنه ليس بكلام الناس وكلام الله عز وجل وهو كلام وكلام ملائكته كلام .

قال الحكيم : أما رأيت الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقدمها وتأخرها وإقبالها وإدبارها لم يجدوا الدواب والطير يحتمل كلامهم الذي هو كلامهم ، فوضعوا من النقر والصفير والرجز ما يبلغوا به حاجتهم وما عرفوا أنها تطيق حمله ، وكذلك العباد يعجزوا أن يعلموا كلام الله عز وجل وكلام ملائكته على كنهه وكماله ولطفه وصفته قصار ما تراجع الناس بينهم من الاصوات التي سمعوا بها الحكمة شبيها بما وضع الناس للدواب ، والطير ولم يمنع ذلك الصوت مكان الحكمة المخبرة في تلك الاصوات من أن تكون الحكمة واضحة بينهم ، قوية منيرة شريفة عظيمة ، ولم يمنعها من وقوع معانيها على مواقعها وبلوغ ما احتج به الله عز وجل على العباد فيها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا ، وكانت الحكمة للصوت نفسا وروحا ، ولا طاقة للناس أن ينفذوا غور كلام الحكمة ، ولا يحيطوا به بعقولهم ، فمن قبل ذلك تفاضلت العلماء في علمهم ، فلا يزال عالم يأخذ علمه من عالم حتى يرجع العلم إلى الله عز وجل الذي جاء من عنده ، وكذلك العلماء قد يصيبون من الحكمة والعلم ما ينجيهم من الجهل ، ولكن لكل ذي فضل فضله ، كما أن الناس ينالون من ضوء الشمس ما ينتفعون به في معائشهم وأبدانهم ولا يقدرون أن ينفذوها بأبصارهم فهي كالعين الغزيرة الظاهر مجراها المكنون عنصرها ، فالناس قد يحيبون بما ظهر لهم من مائها ، ولا يدركون غورها وهي كالنجوم الزاهرة التي

يهتدى بها الناس ، ولا يعلمون مساقطها ، فالحكمة أشرف وأرفع وأعظم مما وصفناها به كله ، هي مفتاح باب كل خير يرتجى ، والنجاة من كل شر يتقى ، وهي شراب الحياة التي من شرب منه لم يمت أبدا ، والشفاء للسقم الذي من استشفى به لم يسقم أبدا ، والطريق المستقيم الذي من سلكه لم يضل أبدا ، هي حبل الله المتين الذي لا يخلقه طول التكرار ، من تمسك به انجلى عنه العمى ، ومن اعتصم به فاز واهتدى ، وأخذ بالعروة الوثقى .

{ الحكمة : ٣١ }

إنما مثل الحكمة كمثل الشمس الطالعة

قال ، فما بال هذه الحكمة التي وصفت بما وصفت من الفضل والشرف والارتفاع والقوة والمنفعة والكمال والبرهان لا ينتفع بها الناس كلهم جميعا ؟ .

قال الحكيم : إنما مثل الحكمة كمثل الشمس الطالعة (١) على جميع الناس الابيض والاسود منهم ، والصغير والكبير ، فمن أراد الانتفاع بها لم تمنعه ولم

---

(١) في حديث رسول الله صلى الله عليه واله في وصفه للعلم والعقل والجهل قال : (تعلموا العلم ، فإن تعلمه حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام وسالك بطالبه سبل الجنة ، ومؤنس في الوحدة ، وصاحب في الغربة ، ودليل على السراء وسلاح على الأعداء ، وزين الأخلاء ، يرفع الله به أقواما يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم ، ترمق أعمالهم وتقتبس آثارهم وترغب الملائكة في خلتهم ، لان العلم حياة القلوب ونور الابصار من العمى وقوة الأبدان من الضعف ، وينزل الله حامله منازل الأحباء ويمنحه مجالسة الأبرار في الدنيا والآخرة بالعلم يطاع الله ويعبد ، وبالعلم يعرف الله ويوحد وبه توصل الأرحام ويعرف الحلال والحرام ، والعلم أمام العقل.والعقل يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء .

وصفة العاقل : أن يحلم عمن جهل عليه ويتجاوز عمن ظلمه ويتواضع لمن هو دونه ويسابق من فوقه في طلب البر ، و إذا أراد أن يتكلم تدبر ، فإن كان خيرا تكلم فغنم وإن كان شرا سكت فسلم وإذا عرضت له فتنة استعصم بالله ، وأمسك يده ولسانه ، وإذا رأى فضيلة انتهز بها ، لا يفارقه الحياء ولا يبدو منه الحرص ، فتلك عشر خصال يعرف بها العاقل .

وصفة الجاهل : أن يظلم من خالطه ويتعدى على من هو دونه ، ويتطاول على من هو فوقه ، كلامه بغير تدبر ، إن تكلم أثم ، وإن سكت سها وإن عرضت له فتنة سارع إليها فأردته وإن رأى فضيلة أعرض وأبطأ عنها ، لا يخاف ذنوبه القديمة ولا يرتدع فيما بقي من عمره من الذنوب ، يتوانى عن البر ويبطئ عنه ، غير مكترث لما فاته من ذلك أو ضيعه ، فتلك عشر خصال من صفة الجاهل الذي حرم العقل). (تحف العقول : ص٢٨) .

يحل بينه وبينها من أقربهم وأبعدهم ، ومن لم يرد الانتفاع بها فلا حجة له عليها ، ولا تمنع الشمس على الناس جميعا ، ولا يحول بين الناس وبين الانتفاع بها ، وكذلك الحكمة وحالها بين الناس إلى يوم القيامة ، والحكمة قد عمت الناس جميعا إلا أن الناس يتفاضلون في ذلك ، والشمس ظاهرة إذ طلعت على الابصار الناظرة فرقت بين الناس على ثلاثة منازل فمنهم الصحيح البصر الذي ينفعه الضوء ويقوي على النظر ، ومنهم الاعمى القريب من الضوء الذي لو طلعت عليه شمس أو شموس لم تغن عنه شيئا ، ومنهم المريض البصر الذي لا يعد في العميان ولا في أصحاب البصر ، كذلك الحكمة هي شمس القلوب إذا طلعت تفرق على ثلاث منازل : منزل لاهل البصر الذين يعقلون الحكمة فيكونون من أهلها ، ويعملون بها ، ومنزل لاهل العمى الذين تنبوا الحكمة عن قلوبهم لانكارهم الحكمة وتركهم قبولها كما ينبوضوء الشمس عن العميان ، ومنزلة لاهل مرض القلوب الذين يقصر علمهم ويضعف عملهم ويستوي فيهم السيئ والحسن ، والحق والباطل ، وإن أكثر من تطلع عليه الشمس وهي الحكمة ممن يعمى عنها .

قال ابن الملك : فهل يسع الرجل الحكمة فلا يجيب إليها حتى يلبث زمانا ناكبا عنها ، ثم يجيب ويراجعها ؟

قال بلوهر : نعم هذا أكثر حالات الناس في الحكمة .

{ الحكمة : ٣٢ }

لا يفرق بينهما شيء إلا الدين والحكمة

قال ابن الملك : ترى والدي سمع شيئا من هذا الكلام قط ؟

قال بلوهر : لا أراه سمع سماعا صحيحا رسخ في قلبه ولا كلمه فيه ناصح شفيق .

قال ابن الملك : وكيف ترك ذلك الحكماء منه طول دهرهم ؟

قال بلوهر :

تركوه لعلمهم بمواضع كلامهم ، فربما تركوا ذلك ممن هو أحسن إنصافا وألين عريكة ، وأحسن استماعا من أبيك حتى أن الرجل ليعاش الرجل طول عمره بينهما الاستيناس والمودة والمفاوضة ، ولا يفرق بينهما شيء إلا الدين والحكمة ، وهو متفجع عليه ، متوجع له ، ثم لا يفضي إليه أسرار الحكمة إذ لم يره لها موضعا .

{ الحكمة : ٣٣ }

أهل الدين الذين عرفوا ملك الاخرة

وقد بلغنا أن ملكا من الملوك كان عاقلا قريبا من الناس ، مصلحا لامورهم ، حسن النظر والنصاف لهم ، وكان له وزير صدق صالح يعينه على الاصلاح ويكفيه مؤونته ويشاوره في اموره ، وكان الوزير أديبا عاقلا ، له دين وورع ونزاهة على الدنيا (١) ، وكان قد لقي أهل الدين ، وسمع كلامهم ، وعرف فضلهم ، فأجابهم وانقطع إليهم بإخائه ووده ، وكانت له من الملك منزلة حسنة وخاصة ، وكان الملك لا يكتمه شيئا من أمره ، وكان الوزير له أيضا بتلك المنزلة ، إلا أنه لم يكن ليطلعه على أمرالدين ، ولا يفاوضه أسرار الحكمة ، فعاشا بذلك زمانا طويلا ، وكان الوزير كلما دخل على الملك سجد الاصنام وعظمها وأخذ شيئا في طريق الجهالة والضلالة تقية له فأشفق الوزير على الملك من ذلك واهتم به واستشار في ذلك أصحابه وإخوانه ، فقالوا له : انظر لنفسك وأصحابك فإن رأيته موضعا للكلام فكلمه وفاوضه وإلا فإنك إنما تعينه على نفسك ، وتهيجه على أهل دينك ، فإن السلطان لا يغتر به ، ولا تؤمن سطوته ، فلم يزل الوزير على اهتمامه به مصافيا له ، رفيقا به رجاء أن يجد فرصة فينصحه أو يجد للكلام موضعا فيفاوضه ، وكان الملك مع ضلالته متواضعا سهلا قريبا ، حسن السيرة في رعيته ، حريصا على إصلاحهم ، متفقدا لامورهم ، فاصطحب الوزير الملك على هذا برهة من زمانه .

ثم إن الملك قال للوزير ذات ليلة من الليالي بعدما هدأت العيون :

(١) في بعض النسخ : وزهادة عن الدنيا .

هل لك أن تركب فنسير في المدينة فننظر إلى حال الناس وآثار الامطار التي أصابتهم في هذه الايام ؟

فقال الوزير : نعم فركبا جميعا يجولان في نواحي المدينة فمرا في بعض الطريق على مزبلة تشبه الجبل ، فنظر الملك إلى ضوء النار تبدو في ناحية المزبلة .

فقال للوزير : إن لهذه النار لقصة فأنزل بنا نمشي حتى ندنو منها فنعلم خبرها ، ففعلا ذلك فلما انتهيا إلى مخرج الضوء وجدا نقبا شبيها بالغار ، وفيه مسكين من المساكين ثم نظرا في الغار من حيث لا يراهما الرجل فإذا الرجل مشوه الخلق ، عليه ثياب خلقان من خلقان المزبلة ، متكئ على متكاء قد هيأه من الزبل ، وبين يديه إبريق فخار ، فيه شراب وفي يده طنبور ، يضرب بيده وامرأته في مثل خلقه ولباسه قائمة بين يديه تسقيه إذا استسقى منها ، وترقص له إذا ضرب ، وتحييه بتحية الملوك ، كلما شرب وهو يسميها سيدة النساء ، وهما يصفان أنفسهما بالحسن والجمال وبينهما من السرور والضحك والطرب مالا يوصف ، فقام الملك على رجليه مليا والوزير ينظر كذلك ويتعجبان من لذتهما وإعجابهما بما هما فيه ، ثم انصرف الملك والوزير .

فقال الملك : ما أعلمني وإياك أصابنا الدهر من اللذة والسرور والفرح مثل ما أصاب هذين الليلة مع أني أظنهما يصنعان كل ليلة مثل هذا ، فاغتنم الوزير ذلك منه ، ووجد فرصة فقال له :

أخاف أيها الملك أن يكون دنيانا هذه من الغرور ، ويكون ملكك وما نحن فيه من البهجة والسرور في أعين من يعرف الملكوت الدائم مثل هذه المزبلة ، ومثل هذين الشخصين اللذين رأيناهما ، وتكون مساكننا وما شيدنا منها عند من يرجو مساكن السعادة وثواب الاخرة مثل هذا الغار في أعيننا ، وتكون أجسادنا عند من يعرف الطهارة والنضارة والحسن والصحة مثل جسد هذه المشوه الخلق في أعيننا ، ويكون تعجبهم عن إعجابنا بما نحن فيه كتعجبنا من إعجاب هذين الشخصين بما هما فيه .

قال الملك وهل تعرف لهذه الصفة أهلا ؟

قال الوزير : نعم .

قال الملك : من هم ؟

قال الوزير : أهل الدين الذين عرفوا ملك الاخرة ونعيمها فطلبوه .

قال الملك : وما ملك الاخرة ؟

قال الوزير هو النعيم الذي لا بؤس بعده ، والغنى الذي لا فقر بعده ، والفرح الذي لا ترح بعده ، والصحة التي لا سقم بعدها ، والرضى الذي لا سخط بعده ، والامن الذي لا خوف بعده ، والحياة التي لا موت بعدها ، والملك الذي لا زوال له ، التي هي دار البقاء ودار الحيوان ، التي لا انقطاع لها ، ولا تغير فيها ، رفع الله عز وجل عن ساكنيها فيها السقم والهرم والشقاء والنصب والمرض والجوع والظمأ والموت ، فهذه صفة ملك الاخرة وخبرها أيها الملك .

قال الملك : وهل تدركون إلى هذه الدار مطلبا وإلى دخولها سبيلا ؟

قال الوزير : نعم هي مهيأة لمن طلبها من وجه مطلبها ، ومن أتاها من بابها ظفر بها .

قال الملك : ما منعك أن تخبرني بهذا قبل اليوم ؟

قال الوزير : منعني من ذلك إجلالك والهيبة لسلطانك .

قال الملك : لئن كان هذا الامر الذي وصفت يقينا فلا ينبغي لنا أن نضيعه ولا نترك العمل به في إصابته ، ولكنا نجتهد حتى يصح لنا خبره .

قال الوزير : أفتأمرني أيها الملك أن اواظب عليك في ذكره والتكرير له ؟

قال الملك : بل آمرك أن لا تقطع عني ليلا ولا نهارا ، ولا تريحني ولا تمسك عني ذكره فإن هذا أمر عجيب لا يتهاون به ، ولا يغفل عن مثله ، وكان سبيل ذلك الملك والوزير إلى النجاة .

{ الحكمة : ٣٤ }

الفتى الذي صاهر الفقير

قال ابن الملك : ما أنا بشاغل نفسي بشيء من هذه الامور عن هذا السبيل ولقد حدثت نفسي بالهرب معك في جوف الليل حيث بدا لك أن تذهب .

قال بلوهر : وكيف تستطيع الذهاب معي والصبر على صحبتي وليس لي جحر يأويني ، ولا دابة تحملني ، ولا أملك ذهبا ولا فضة ، ولا أدخر غذاء العشاء ، ولا يكون عندي فضل ثوب ، ولا أستقر ببلدة إلا قليلا حتى أتحول عنها ولا أتزود من أرض إلى أرض اخرى رغيفا أبدا .

قال ابن الملك : إني أرجو أن يقويني الذي قواك .

قال بلوهر : أما إنك إن أبيت إلا صحبتي كنت خليقا أن تكون كالفتى الذي صاهر الفقير .

قال يوذاسف : وكيف كان ذلك ؟

قال بلوهر : زعموا أن فتى كان من أولاد الاغنياء فأراد أبوه أن يزوجه ابنة عم له ذات جمال ومال ، فلم يوافق ذلك الفتى ولم يطلع أباه على كراهته حتى خرج من عنده متوجها إلى أرض اخرى ، فمر في طريقه على جارية عليها ثياب خلقان لها ، قائمة على باب بيت من بيوت المساكين فأعجبته الجارية ، فقال لها : من أنت أيتها الجارية ؟

قالت : ابنة شيخ كبير في هذا البيت.

فنادى الفتى الشيخ فخرج إليه فقال له : هل تزوجني ابنتك هذه ؟

قال : ما أنت بمتزوج لبنات الفقراء وأنت فتى من الاغنياء .

قال : أعجبتني هذه الجارية ولقد خرجت هاربا من امرأة ذات حسب ومال أرادوا مني تزويجها ، فكرهتها فزوجني ابنتك فإنك واجد عندي خيرا إن شاء الله.

قال الشيخ : كيف ازوجك ابنتي ونحن لا تطيب أنفسنا أن تنقلها عنا ، ولا أحتسب مع ذلك أن أهلك يرضون أن تنقلها إليهم .

قال الفتى : فنحن معكم في منزلكم هذا .

قال الشيخ : إن صدقت فيما تقول فاطرح عنك زيك وحليتك هذه .

قال : ففعل الفتى ذلك وأخذ أطمارا رثة من أطمارهم فلبسها وقعد معهم ، فسأله الشيخ عن شأنه وعرض له بالحديث حتى فتش عقله فعرف أنه صحيح العقل وأنه لم يحمله على ما صنع السفه .

فقال له الشيخ : أما إذا اخترتنا ورضيت بنا فقم معي إلى هذا السرب فأدخله فإذا خلف منزله بيوت ومساكن لم ير مثله قط سعة وحسنا ، وله خزائن من كل ما يحتاج إليه ، ثم دفع إليه مفاتيحه وقال : إن كل ما ههنا لك فاصنع به ما أحببت ، فنعم الفتى أنت وأصاب الفتى ما كان يريده .

{ الحكمة : ٣٥ }

سنة قد سنها أئمة الهدى

قال يوذاسف : إني لارجو أن أكون أنا صاحب هذا المثل إن الشيخ فتش عقل هذا الغلام حتى وثق به ، فلعلك تطول بي على تفتيش عقلي فأعلمني ما عندك في ذلك .

قال الحكيم : لو كان هذا الامر إلي لا كتفيت منك بأدنى المشافهة ولكن فوق رأسي سنة قد سنها أئمة الهدى في بلوغ الغاية في التوفيق ، وعلم ما في الصدور فإني أخاف إن خالفت السنة أن أكون قد أحدثت بدعة ، وأنا منصرف عنك الليلة وحاضر بابك في كل ليلة ، ففكر في نفسك بهذا واتعظ به ، وليحضرك فهمك وتثبت ولا تعجل بالتصديق لما يورده عليك همك حتى تعلمه بعد التؤدة والاناة وعليك بالاحتراس في ذلك أن يغلبك الهوى والميل إلى الشبهة والعمى ، واجتهد في المسائل التي تظن أن فيها شبهة ، ثم كلمني فيها وأعلمني رأيك في الخروج إذا أردت ، وافترقا على هذا تلك الليلة .

{ الحكمة : ٣٦ }

الباقي الذي لا فناء له

ثم عاد الحكيم إليه فسلم عليه ودعاله ، ثم جلس فكان من دعائه أن قال :
أسأل الله الاول الذي لم يكن قبله شيء .
والاخر الذي لا يبقى معه شيء .
والباقي الذي لا فناء له .
والعظيم الذي لا منتهى له .
والواحد الفرد الصمد الذي ليس معه غيره .
والقاهر الذي لا شريك له .
البديع الذي لا خالق معه .
القادر الذي ليس له ضد ، الصمد الذي ليس له ند .
الملك الذي ليس معه أحد أن يجعلك ملكا عدلا .
إماما في الهدى .
قائدا إلى التقوى .
ومبصرا من العمى .
وزاهدا في الدنيا .
ومحبا لذوي النهى .
ومبغضا لاهل الردى .
حتى يفضي بنا وبك إلى ما وعدالله أوليائه على ألسنة أنبيائه من جنته ورضوانه .
فإن رغبتنا إلى الله في ذلك ساطعة .

ورهبتنا منه باطنة .

وأبصارنا إليه شاخصة (١) وأعناقنا له خاضعة ، وامورنا إليه صائرة .

---

(١) في بعض النسخ : وابصارنا اليه خاشعة .

{ الحكمة : ٣٧ }

لا حياة إلا في الدين والعمل به

فرق ابن الملك لذلك الدعاء رقة شديدة ، وازداد في الخير رغبة ، وقال متعجبا من قوله :

أيها الحكيم أعلمني كم أتى لك من العمر ؟

فقال : اثنتا عشر سنة .

فارتاع لذلك ابن الملك .

وقال : ابن اثنتى عشرة سنة طفل وأنت مع ما أرى من التكهل كابن ستين سنة.

قال الحكيم : أما المولد فقد راهق الستين سنة ، ولكنك سألتني عن العمر وإنما العمر الحياة ، ولا حياة إلا في الدين والعمل به ، والتخلي من الدنيا ولم يكن ذلك لي إلا من اثنتى عشرة سنة ، فأما قبل ذلك فإني كنت ميتا ولست أعتد في عمري بأيام الموت .

قال ابن الملك : كيف تجعل الاكل والشارب والمتقلب ميتا ؟

قال الحكيم : لانه شارك الموتى في العمى والصم والبكم وضعف الحياة وقلة الغنى ، فلما شاركهم في الصفة وافقهم في الاسم .

{ الحكمة : ٣٨ }

اني لا أرى هذه الحياة حياة

قال ابن الملك :

لئن كنت لا تعد حياتك تلك حياة ولا غبطة ما ينبغي لك أن تعد ما تتوقع من الموت موتا ، ولا تراه مكروها .

قال الحكيم :

تغريري في الدخول عليك بنفسي يا ابن الملك مع علمي لسطوة أبيك على أهل ديني يدلك على أني لا أرى الموت موتا ، ولا أرى هذه الحياة حياة ، ولا ما أتوقع من الموت مكروها ، فكيف يرغب في الحياة من قد ترك حظه منها ؟ أو يهرب من الموت من قد أمات نفسه بيده ، أولا ترى يا ابن الملك أن صاحب الدين قد رفض الدنيا من أهله وماله وما لا يرغب في الحياة الا له (١) واحتمل من نصب العبادة مالا يريحه منه إلا الموت ، فما حاجة من لا يتمتع بلذة الحياة إلى الحياة ؟ أو يهرب من لا راحة له إلا في الموت من الموت .

---

(١) في بعض النسخ : ما لا يرغب فيها مالا الا له .

{ الحكمة : ٣٩ }

من كان موقنا بالله وحده فإنه يحب الموت

قال ابن الملك : صدقت أيها الحكيم فهل يسرك أن ينزل بك الموت من غد ؟

قال الحكيم :

بل يسرني أن ينزل بي الليلة دون غد فإنه من عرف السيئ .

والحسن وعرف ثوابهما من الله عز وجل ترك السيئ مخافة عقابه .

وعمل الحسن رجاء ثوابه .

ومن كان موقنا بالله وحده مصدقا بوعده فإنه يحب الموت لما يرجو بعد الموت من الرخاء .

ويزهد في الحياة لما يخاف على نفسه من الشهوات الدنيا .

والمعصية لله فيها فهو يحب الموت مبادرة من ذلك .

{ الحكمة : ٤٠ }

لا تأس على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون

فقال ابن الملك : إن هذا لخليق أن يبادر الهلكة لما يرجو في ذلك من النجاة ، فاضرب لي مثل امتنا هذه وعكوفها على أصنامها .

قال الحكيم : إن رجلا كان له بستان يعمره ويحسن القيام عليه إذ رأى في بستانه ذات يوم عصفورا واقعا على شجرة من شجرة البستان يصيب من ثمرها فغاضه ذلك فنصب فخا فصاده ، فلما هم بذبحه أنطقه الله عز وجل بقدرته ، فقال لصاحب البستان :

إنك تهتم بذبحي وليس في ما يشبعك من جوع ولا يقويك من ضعف فهل لك في خير عما هممت به ؟

قال الرجل : ما هو ؟

قال العصفور : تخلى سبيلي واعلمك ثلاث كلمات إن أنت حفظتهن كن خيرا لك من أهل ومال هو لك .

قال : قد فعلت فأخبرني بهن ، قال العصفور : احفظ عني ما أقول لك : لا تأس على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون ، ولا تطلبن مالا تطيق ، فلما قضى الكلمات خلى سبيله ، فطار فوقع على بعض الاشجار .

ثم قال للرجل : لو تعلم ما فاتك مني لعلمت أنك قد فاتك مني عظيم جسيم من الامر .

فقال الرجل وماذاك ؟

قال العصفور : لو كنت قضيت على ما هممت به من ذبحي لاستخرجت من حوصلتي درة كبيضة الاوزة فكان لك في ذلك غنى الدهر .

فلما سمع الرجل منه ذلك أسر في نفسه ندما على مافاته ، وقال : دع منك مامضى ، وهلم أنطلق بك إلى منزلي فأحسن صحبتك وأكرم مثواك .

فقال له العصفور : أيها الجاهل ما أراك حفظتني إذا ظفرت بي ، ولا انتفعت بالكلمات التي فتديت بها منك نفسي ، ألم أعهد إليك ألا تأس على مافاتك ولا تصدق مالا يكون ، ولا تطلب مالا يدرك ؟ أما أنت متفجع على مافاتك وتلتمس مني رجعتي إليك وتطلب مالا تدرك وتصدق أن في حوصلتي درة كبيضة .

الاوزة ، وجميعي أصغر من بيضها ، وقد كنت عهدت إليك أن لا تصدق بما لا يكون

وأن امتكم صنعوا أصنامهم بأيديهم ثم زعموا أنها هي التي خلقتهم وخفظوها من أن تسرق مخافة عليها وزعموا أنها هي التي تحفظهم ، وأنفقوا عليها من مكاسبهم وأموالهم ، وزعموا أنها هي التي ترزقهم فطلبوا من ذلك مالا يدرك وصدقوا بما لا يكون فلزمهم منه ما لزم صاحب البستان .

قال ابن الملك : صدقت أما الاصنام فإني لم أزل عارفا بأمرها ، زاهدا فيها ، آيسا من خيرها ، فأخبرني بالذي تدعوني إليه والذي ارتضيته لنفسك ماهو ؟

قال بلوهر : جماع الدين أمران أحدهما معرفة الله عز وجل والاخر العمل برضوانه .

{ الحكمة : ٤١ }

كيفية معرفة اللّه عز وجل

قال ابن الملك : وكيف معرفة الله عز وجل (١) ؟

---

(١) و ما ورد عن اهل البيت عليه السلام في معرفة الله ما روي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في خطبة خطبها في مجلس المامون قال : بعد حمد لله والثناء عليه والصلاة النبي واله قال : ((أول عبادة الله معرفته ، وأصل معرفة الله توحيده ، ونظام توحيد الله تفي الصفات عنه لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق وشهادة كل مخلوق أن له خالقا ليس بصفة ولا موصوف ، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران ، وشهادة الاقتران بالحدث ، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث ، فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته ، ولا إياه وحده من اكتنهه ولا حقيقة أصاب من مثله ، ولا به صدق من نهاه ولا صمد صمده من أشار إليه ولا إياه عنى من شبهه ، ولا له تذلل من بعضه ، ولا إياه أراد من توهمه ، كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه معلول ، بصنع الله يستدل عليه و بالعقول يعتقد معرفته ، وبالفطرة تثبت حجته. خلق الله حجاب بينه وبينهم ومباينته إياهم مفارقته إنيتهم ، وابتداؤه إياهم دليلهم على أن لا ابتداء له لعجز كل مبتدء عن ابتداء غيره ، وأدوه إياهم دليل على أن لا أداة فيه لشهادة الأدوات بفاقة المتأدين وأسماؤه تعبير ، وأفعاله تفهيم ، وذاته حقيقة ، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغبوره تحديد لما سواه فقد جهل الله من استوصفه ، وقد تعداه من اشتمله وقد أخطأه من اكتنهه ، ومن قال : كيف فقد شبهه ، و من قال : لم فقد علله ، ومن قال : متى فقد وقته ، ومن قال : فيم فقد ضمنه ، ومن قال : إلى م فقد نهاه ، ومن قال . حتى م فقد غياه ومن غياه فقد غاياه ، ومن ‹ صفحة ٣٧ › غاياه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد وصفه ، ومن وصفه فقد ألحد فيه ، لا يتغير الله بانغيار المخلوق ، كما لا يتحدد بتحديد المحدود ، أحد لا بتأويل عدد ، ظاهر لا بتأويل المباشرة ، متجل لا باستهلال رؤية ، باطن لا بمزايلة ، مبائن لا بمسافة ، قريب لا بمداناة ، لطيف لا بتجسم ، موجود لا بعد عدم ، فاعل لا باضطرار ، مقدر لا بحول فكرة مدبر لا بحركة ، مريد لا بهمامة ، شاء لا بهمة ، مدرك لا بمجسة سميع لا بآلة ، بصير لا بأداة . لا تصحبه الأوقات ، ولا تضمنه الأماكن ، ولا تأخذه السنات ولا تحده الصفات ، ولا تقيده

الأدوات سبق الأوقات كونه . والعدم وجوده ، والابتداء أزاله ، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له ، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له ، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له ضاد النور بالظلمة ، والجلاية بالبهم ، والجسو بالبلل ، والصرد بالحرور ، مؤلف بين متعادياتها ، مفرق بين متدانياتها ، دالة بتفريقها على مفرقها ، وبتأليفها على مؤلفها ، ذلك قوله عز وجل : (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الذاريات/٤٩) ففرق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد ، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها ، دالة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها ، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقتها ، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيرها له معنى الربوبية إذ لا مربوب وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه ومعنى العالم ولا معلوم ، ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السمع ولا مسموع ليس منذ خلق استحق معنى الخالق ، ولا باحداثه البرايا استفاد معنى البارئية كيف ولا تغيبه مذ ، ولا تدنيه قد ، ولا تحجبه لعل ، ولا توقته متى ، ولا تشمله حين ، ولا تقارنه مع ، إنما تحد الأدوات أنفسها ، وتشير الآلة إلى نظائرها وفي الأشياء يوجد فعالها منعتها منذ القدمة ، وحمتها قد الأزلية ، وجبتها لولا التكملة افترقت فدلت على مفرقها ، وتباينت فأعربت من مباينها لما تجلى صانعها للعقول وبها احتجب عن الرؤية ، وإليها تحاكم الأوهام ، وفيها أثبت غيره ومنها أنيط الدليل وبها عرفها الاقرار ، وبالعقول يعتقد التصديق بالله ، وبالاقرار يكمل الإيمان به ، ولا ديانة إلا بعد المعرفة ولا معرفة إلا بالاخلاص ، ولا إخلاص مع التشبيه ، ولا نفي مع إثبات الصفات للتشبيه فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه ، وكل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه ، لا تجري عليه الحركة والسكون ، وكيف يجري عليه ما هو أجراه ، أو يعود إليه ما هو ابتدأه إذا لتفاوتت ذاته ، ولتجز أكنهه ، ولامتنع من الأزل معناه ، ولما كان للبارئ معنى غير المبروء ، و لوحد له وراء إذا حد له أمام ، ولو التمس له التمام إذا لزمه النقصان ، كيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث ، وكيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الانشاء ، إذا لقامت فيه آية المصنوع ، ولتحول دليلا بعد ما كان مدلولا عليه ، ليس في محال القول حجة ولا في المسألة عنه جواب ، ولا في معناه له تعظيم ، ولا في إبانته عن الخلق ضيم ، إلا بامتناع الأزلي أن يثنى وما لا بدأ له أن يبدأ ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، كذب العادلون بالله ، وضلوا ضلالا بعيدا ، وخسروا خسرانا مبينا ، وصلى الله على محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين . (التوحيد : ص٣٤ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج١ ص١٣٥) .

.

قال الحكيم :

أدعوك إلى أن تعلم أن الله واحد ليس له شريك .

لم يزل فردا ربا .

وما سواه مربوب .

وأنه خالق وما سواه مخلوق .

وأنه قديم وما سواه محدث .

وأنه صانع وما سواه مصنوع .

وأنه مدبر وما سواه مدبر .

وأنه باق وما سواه فان .

وأنه عزيز وما سواه ذليل .

وأنه لا ينام ولا يغفل .

ولا يأكل ولا يشرب .

ولا يضعف ولا يغلب ولا يعجز .

ولا يعجزه شيء .

لم تمتنع منه السماوات والارض والهواء والبر والبحر .

وأنه كون الاشياء لا من شيء .

وأنه لم يزل ولا يزال .

ولا تحدث فيه الحوادث .

ولا تغيره الاحوال .

ولا تبدله الازمان .

ولا يتغير من حال إلى حال .

ولا يخلو منه مكان .

ولا يشتغل به مكان .

ولا يكون من مكان أقرب منه إلى مكان .

ولا يغيب عنه شيء .

عالم لا يخفى عليه شيء .

قدير لا يفوته شيء .

وأن تعرفه بالرأفة والرحمة والعدل .

وأن له ثوابا أعده لمن أطاعه .

وعذابا أعده لمن عصاه .

وأن تعمل لله برضاه .

وتجتنب سخطه .

{ الحكمة : ٤٢ }

ما يرضي الواحد الخالق من الاعمال

قال ابن الملك :
فما يرضي الواحد الخالق من الاعمال (١) ؟
قال الحكيم : يا ابن الملك
أن تطيعه ولا تعصيه .
وأن تأتي إلى غيرك ما تحب أن يؤتى إليك .
وتكف عن غيرك ما تحب أن يكف عنك في مثله .
فإن ذلك عدل وفي العدل رضاه .
وفي اتباع آثار أنبياء الله ورسله بأن لا تعدو سنتهم .

---

(١) في وصية النبي صلى الله عليه واله لعلي عليه السلام قال : يا علي ، احب العمل الى الله ثلاث خصال : من اتي الله بما افترض عليه فهو من اعبد الناس . ومن ورع عن محارم الله فهو من اورع الناي . ومن قنع بما رزقه الله فهو من اغنى الناس . (تحف العقول : ص ٢١) .

{ الحكمة : ٤٣ }

الدنيا دار زوال ومتقلب من حال إلي حال

قال ابن الملك : زدني أيها الحكيم تزهيدا في الدنيا وأخبرني بحالها .

قال الحكيم : إني لما رأيت الدنيا دار تصرف وزوال وتقلب من حال إلى حال (١) ، ورأيت أهلها فيها أغراضا للمصائب ، ورهائن للمتالف ، ورأيت صحة بعدها سقما ، وشبابا بعده هرما ، وغنى بعده فقرا ، وفرحا بعده حزنا ، وعزا بعده ذلا ، ورخاء بعده شدة ، وأمنا بعده خوفا ، وحياة بعدها مماة ، ورأيت أعمارا قصيرة ، وحتوفا راصدة (٢) وسهاما قاصدة ، وأبدانا ضعيفة مستسلمة ، غير ممتنعة ولا حصينة ، عرفت أن الدنيا منقطعة بالية فانية ، وعرفت بما ظهر لي منها ما غاب عني منها ، وعرفت بظاهرها باطنها ، وغامضها بواضحها ، وسرها بعلانيتها ، و صدورها بورودها ، فحذرتها لما عرفتها ، وفررت منها لما أبصرتها ، بينا ترى المرء فيها مغتبطا محبورا (٣) وملكا مسرورا (٤) في خفض ودعة ونعمة وسعة في بهجة من شبابة ، وحداثة من سنه ، وغبطة من ملكه ، وبهاء من سلطانه ، وصحة من بدنه إذا انقلبت الدنيا به أسر ما كان فيها نفسا ، وأقر ما كان فيها عينا ، فأخرجته من ملكها وغبطتها وخفضها ودعتها وبهجتها ، فأبدلته بالعز ذلا

---

(١) في كلام ابي عبد الله الحسين عليه السلام يوم عاشوراء قال : ((الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال ، متصرفة بأهلها حالا بعد حال ، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته ، فلا تغرنكم هذه الدنيا ، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها)) (بحار الأنوار : ج٤٥ ص٦) .

(٢) الحتف : الموت من غير قتل والجمع حتوف . والراصد : المراقب .

(٣) أي مسرورا ، والحبر - بفتح الحاء وكسرها - : السرور والجمع حبور واحبار .

(٤) في بعض النسخ : مشعوفا .

وبالفرح ترحا ، وبالسرور حزنا ، وبالنعمة بؤسا ، وبالغنى فقرا ، وبالسعة ضيقا ، وبالشباب هرما ، وبالشرف ضعة ، وبالحياة موتا ، فدلته في حفرة ضيقة شديدة الوحشة ، وحيدا فريدا غريبا ، قد فارق الاحبة وفارقوه ، خذله إخوانه فلم يجد عندهم دفعا ، وصار عزه وملكه وأهله وماله نهبة من بعده ، كأن لم يكن في الدنيا ولم يذكر فيها ساعة قط ولم يكن له فيها خطر ، ولم يملك من الارض حظا قط فلا تتخذ فيها يا ابن الملك دارا ، ولا تتخذن فيها عقدة (١) ولا عقارا ، فاف لها وتف .

قال ابن الملك : اف لها ولمن يغتر بها إذ كان هذا حالها .

(١) العقدة : الضيعة وهي المتاع والعقار .

{ الحكمة : ٤٤ }

العمر قصير والارتحال من الدنيا حثيث قريب

ورق ابن الملك وقال : زدني أيها الحكيم من حديثك فإنه شفاء لما في صدري .

قال الحكيم : إن العمر قصير ، والليل والنهار يسرعان فيه ، والارتحال من الدنيا حثيث قريب ، وإنه وإن طال العمر فيها فإن الموت نازل ، والظاعن لا محالة راحل فيصير ما جمع فيها مفرقا ، وما عمل فيها متبرا ، وما شيد فيها خرابا ، ويصير اسمه مجهولا ، وذكره منسيا ، وحسبه خاملا وجسده باليا ، وشرفه وضيعا ، ونعمته وبالا ، وكسبه خسارا ، ويورث سلطانه ، ويستذل عقبه ، ويستباح حريمه ، وتنقض عهوده ، وتخفر ذمته ، وتدرس آثاره ، ويوزع ماله ، ويطوى رحله ، ويفرح عدوه ويبيد ملكه ، ويورث تاجه ، ويخلف على سريره ، ويخرج من مساكنه مسلوبا مخذولا فيذهب به إلى قبره فيدلى في حفرته في وحدة وغربة وظلمة ووحشة ومسكنة وذلة ، قد فارق الاحبة ، وأسلمته العصبة فلا تؤنس وحشته أبدا ، ولا ترد غربته أبدا .

واعلم أنها يحق على المرء اللبيب من سياسة نفسه خاصة كسياسة الامام العادل الحازم الذي يؤدب العامة ، ويستصلح الرعية ، ويأمرهم بما يصلحهم ، وينهاهم عما يفسدهم ، ثم يعاقب من عصاه منهم ، ويكرم من أطاعه منهم ، فكذلك للرجل اللبيب أن يؤدب نفسه في جميع أخلاقها وأهوائها وشهواتها وأن تحملها وإن كرهت على لزوم منافعها فيما أحبت وكرهت ، وعلى اجتناب مضارها ، وأن يجعل لنفسه عن نفسه ثوابا وعقابا من مكانها من السرور إذا أحسنت ، ومن مكانها من الغم إذا أساءت ، ومما يحق على ذي العقل فيما ورد

عليه من اموره ، والاخذ بصوابها ، وينهى نفسه عن خطائها ، وأن يحتقر عمله ونفسه في رأيه لكيلا يدخله عجب .

فإن الله عز وجل قد مدح أهل العقل وذم أهل العجب ، ومن لا عقل له ، وبالعقل يدرك كل خير بإذن الله تبارك وتعالى ، وبالجهل تهلك النفوس (١) ، وإن من أوثق الثقات عند ذوي الالباب ما أدركته عقولهم ، وبلغته تجاربهم ، ونالته أبصارهم في الترك للاهواء والشهوات ، وليس ذوالعقل بجدير أن يرفض ما قوي على حفظه من العمل احتقارا له إذا لم يقدر على ما هو أكثر منه ، وإنما هذا من أسلحة الشيطان الغامضه التي لا يبصرها إلا من تدبرها ، ولا يسلم منها إلا من عصمه الله منها ، ومن أسلحته سلاحان أحدهما إنكار العقل أن يوقع في قلب الانسان العاقل أنه لا عقل له ولا بصر ولا منفعة له في عقله وبصره ، ويريد أن يصده عن محبة العلم وطلبه ، ويزين له الاشتغال بغيره من ملاهي الدنيا ، فإن أتبعه الانسان من هذا الوجه فهو ظفره ، وإن عصاه وغلبه فرغ إلى السلاح الاخر وهو أن يجعل الانسان إذا عمل شيئا وأبصره عرض له بأشياء لا يبصرها ليغمزه ويضجره بما لا يعلم حتى يبغض إليه ما هو فيه بتضعيف عقله عنده ، وبما يأتيه من الشبهة ، ويقول : ألست ترى أنك لا تستكمل هذا الامر ولا تطيقه أبدا فبم تعني نفسك وتشقيها فيما لا طاقة لك به ، فبهذا السلاح صرع كثيرا من الناس ، فاحترس من أن تدع اكتساب علم ما تعلمه وأن تخدع عما اكتسبت منه ، فإنك في دار قد استحوذ على أكثر أهلها الشيطان بألوان حيله ووجوه ضلالته ، ومنهم من قد ضرب على سمعه وعقله وقلبه فتركه لا يعلم يئا ، ولا يسأل عن علم ما جهل منه كالبهيمة ، وإن لعامتهم أديانا مختلفة فمنهم المجتهدون في الضلالة حتى أن بعضهم ليستحل دم بعض وأموالهم ، ويموه ضلالتهم بأشياء من الحق ليلبس

---

(١) وفي وصية للنبي لعلي قال صلى الله عليه واله : يا علي ، انه لا فقر اشد من الجهل ولا مال اعود من العقل ولا وحدة اوحش من العجب ولا مظاهرة احسن من المشاورة ولا عقل كالتدبيرولا حسب كحسن الخلق ولا عبادة كالتفكر .

عليهم دينهم ، ويزينه لضعيفهم ، ويصدهم عن الدين القيم ، فالشيطان وجنوده دائبون في إهلاك الناس ، وتضليلهم لا يسأمون ولا يفترون ولا يحصى عددهم إلا الله ، ولا يستطاع دفع مكائدهم إلا بعون من الله عز وجل والاعتصام بدينه ، فنسأل الله توفيقا لطاعته ونصرا على عدونا ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله .

{ الحكمة : ٤٥ }

إن اللّه لا يبلغ بالعقول كنه صفته

قال ابن الملك : صف لي الله سبحانه وتعالى حتى كأني أراه
قال : إن الله تقدس ذكره لا يوصف بالرؤية (١) .

---

(١) في مناظرة الامام الرضا عليه السلام وعمران الصابي في وصف الله عز وجل سأله عمران الصابي أخبرني نوحد الله بحقيقة أم نوحده بوصف ؟
فقال له الرضا عليه السلام : إن النور البديء الواحد الكون الأول واحد لا شريك له ولا شيء معه ، فرد لا ثاني معه . ولا معلوم - ولا مجهول - ولا محكم ولا متشابه ولا مذكور ولا منسا ولا شئ يقع عليه اسم شيء من الأشياء كلها . فكان البدئ قائما بنفسه ، نور غني مستغن عن غيره ، لا من وقت كان ولا إلى وقت يكون . ولا على شئ قام ولا إلى شيء استتر. ولا في شيء استكن . ولا يدرك القائل مقالا إذا خطر بباله ضوء أو مثال أو شبح أو ظل . وذلك كله قبل الخلق في الحال التي لا شئ فيها غيره والحال أيضا فيهذا الموضع ، فإنما هي صفات محدثة وترجمة من متوهم ليفهم . أفهمت يا عمران ؟
قال : نعم .
قال الرضا : عليه السلام : إعلم أن التوهم والمشيئة والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة وكان أول توهمه وإرادته ومشيئته الحروف التي جعلها أصلا لكل شيء و فاصلا لكل مشكل ولم يجعل في توهمه معنى غير أنفسها متناهي ولا وجود لأنها متوهمة بالتوهم ، والله سابق التوهم ، لأنه ليس قبله شيء ولا كان معه شيء . والتوهم سابق للحروف فكانت الحروف محدثة بالتوهم وكان التوهم وليس قبل الله مذهب والتوهم من الله غير الله ولذلك صار فعل كل شيء غيره وحد كل شيء غيره وصفة كل شيء غير الموصوف وحد كل شيء غير المحدود . وذلك لان الحروف إنما هي مقطعة قائمة برؤوسها لا تدل غير نفوسها ، فإذا ألفتها وجمعت منها أحرفا كانت تدل على غيرها من أسماء وصفات . واعلم أنه لا يكون صفة لغير موصوف ولا اسم لغير معنى ولا حد لغير محدود . والأسماء والصفات كلها تدل على الكمال والوجود ولا تدل على الإحاطة كما تدل على الوجود الذي هو التربيع والتدوير والتثليث لان الله يدرك

ولا يبلغ بالعقول كنه صفته .

ولا تبلغ الالسن كنه مدحته .

ولا يحيط العباد من علمه إلا بما علمهم منه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام بما وصف به نفسه .

ولا تدرك الاوهام عظم ربوبيته .

هو أعلى من ذلك وأجل وأعز وأعظم وأمنع وألطف .

فتاح للعباد من علمه بما أحب .

وأظهرهم من صفته على ما أراد .

وأدلهم على معرفته ومعرفة ربوبيته بإحداث ما لم يكن .

وإعدام ما أحدث .

قال ابن الملك : وما الحجة ؟

قال : إذا رأيت شيئا مصنوعا غاب منك صانعه علمت بعقلك أن له صانعا ، فكذلك السماء والارض وما بينهما ، فأي حجة أقوى من ذلك .

بالأسماء و الصفات ولا يدرك بالتحديد . فليس ينزل بالله شئ من ذلك حتى يعرفه خلقه معرفتهم لأنفسهم ، ولو كانت صفاته لا تدل عليه وأسماؤه لا تدعو إليه لكانت العبادة من الخلق لاسمائه وصفاته دون معناه ولو كان كذلك لكان المعبود الواحد غير الله لان صفاته غيره.

قال له عمران : أخبرني عن التوهم خلق هو أم غير خلق ؟

قال الرضا عليه السلام : بل خلق ساكن لا يدرك بالسكون وإنما صار خلقا ، لأنه شيء محدث ، الله الذي أحدثه ، فلما سمي شيئا صار خلقا . وإنما هو الله وخلقه لا ثالث غيرهما وقد يكون الخلق ساكنا ومتحركا ومختلفا ومؤتلفا ومعلوما ومتشابها وكل ما وقع عليه اسم شيء فهو خلق . (التوحيد : ص ٤٣٨ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج١ ص١٥٦) .

{ الحكمة : ٤٦ }

لا تستقبحن الحسن وإن كان في الفجار

قال ابن الملك :

فأخبرني أيها الحكيم أبقدر من الله عز وجل يصيب الناس ما يصيبهم من الاسقام والاوجاع والفقر والمكاره أو بغير قدر .

قال بلوهر : لا بل بقدر .

قال : فأخبرني عن أعمالهم السيئة .

قال : إن الله عز وجل من سيئ أعمالهم برئ ولكنه عز وجل أوجب الثواب العظيم لمن أطاعه والعقاب الشديد لمن عصاه .

قال : فأخبرني من أعدل الناس ومن أجورهم ، ومن أكيسم ومن أحمقهم ، ومن أشقاهم ومن أسعدهم ؟

قال : أعدلهم أنصفهم من نفسه وأجورهم من كان جوره عنده عدلا وعدل أهل العدل عنده جورا ، وأما أكيسهم فمن أخذ لاخرته اهبتها (١) وأحمقهم من كانت الدنيا همه ، والخطايا عمله ، وأسعدهم من ختم عاقبة عمله بخير ، وأشقاهم من ختم له بما يسخط الله عز وجل .

ثم قال :

من دان الناس بما إن دين بمثله هلك فذلك المسخط لله ، المخالف لما يحب ، ومن دانهم بما إن دين بمثله صلح فذلك المطيع لله الموافق لما يحب المجتنب لسخطه ،

ثم قال :

---

(١) الاهبة : العدة ، يقال : اخذ للسفر اهبته أي اسبابه .

لا تستقبحن الحسن وإن كان في الفجار ، ولا تستحسنن القبيح وإن كان في الابرار .

ثم قال له :

أخبرني أي الناس أولى بالسعادة ؟ وأيهم أولى بالشقاوة ؟

قال بلوهر :

أولاهم بالسعادة المطيع لله عز وجل في أمره ، والمجتنب لنواهيه ، وأولاهم بالشقاوة العامل بمعصية الله ، التارك لطاعته ، المؤثر لشهوته على رضى الله عز وجل .

قال : فأي الناس أطوعهم لله عز وجل ؟

قال : أتبعهم لامره ، وأقواهم في دينه ، وأبعدهم من العمل بالسيئات .

{ الحكمة : ٤٧ }

ما هي الحسنات والسيئات

قال : فما الحسنات والسيئات (١) ؟

---

(١) وروى عن الامام السبط التقى أبي محمد الحسن بن علي صلوات الله عليهما ورحمته وبركاته في طوال هذه المعاني في أجوبته عن مسائل سأله عنها أمير المؤمنين عليه السلام أو غيره في معان مختلفة قيل له عليه السلام : ما الزهد ؟ قال : الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا : قيل : فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ وملك النفس . قيل : ما السداد ؟ قال : دفع المنكر بالمعروف قيل : فما الشرف ؟ قال : اصطناع العشيرة وحمل الجريرة . قيل : فما النجدة ؟ قال : الذب عن الجار والصبر في المواطن والاقدام عند الكريهة . قيل : فما المجد ؟ قال : أن تعطي في الغرم وأن تعفو عن الجرم . قيل : فما المروة ؟ قال : حفظ الدين وإعزاز النفس ولين الكنف وتعهد الصنيعة وأداء الحقوق والتحبب إلى الناس . قيل : فما الكرم ؟ قال : الابتداء بالعطية قبل المسألة وإطعام الطعام في المحل قيل : فما الدنيئة ؟ قال : النظر في اليسير ومنع الحقير . قيل : فما اللؤم ؟ قال : قلة الندى وأن ينطق بالخنى. قيل : فما السماح ؟ قال : البذل في السراء والضراء . قيل : فما الشح ؟ قال : أن ترى ما في يديك شرفا وما أنفقته تلفا . قيل : فما الإخاء ؟ قال : الإخاء في الشدة والرخاء . قيل : فما الجبن ؟ قال : الجرأة على الصديق والنكول عن العدو . قيل : فما الغنى ؟ قال : رضى النفس بما قسم لها وإن قل . قيل : فما الفقر ؟ قال : شره النفس إلى كل شئ . قيل : فما الجود ؟ قال : بذل المجهود . قيل : فما الكرم ؟ قال : الحفاظ في الشدة والرخاء. قيل : فما الجرأة ؟ قال : مواقفة الاقران . قيل : فما المنعة ؟ قال : شدة البأس ومنازعة أعزاء الناس. قيل : فما الذل ؟ قال : الفرق عند المصدوقة. قيل : فما الخرق ؟ قال : مناواتك أميرك ومن يقدر على ضرك . قيل : فما السناء ؟ قال : إتيان الجميل وترك القبيح. قيل : فما الحزم ؟ قال : طول الأناة والرفق بالولاة والاحتراس من جميع الناس. قيل فما الشرف ؟ قال : موافقة الاخوان وحفظ الجيران . قيل : فما الحرمان ؟ قال : تركك حظك وقد عرض عليك . قيل : فما السفه ؟ قال : اتباع الدناة ومصاحبة الغواة . قيل : فما العي ؟ قال : العبث باللحية وكثرة التنحنح عند المنطق . قيل : فما الشجاعة ؟ قال : موافقة الاقران والصبر عند الطعان .

قال : الحسنات صدق النية والعمل ، والقول الطيب ، والعمل الصالح ، والسيئات سوء النية ، و سوء العمل ، والقول السيئ .

قال : فما صدق النية ؟

قال : الاقتصاد في الهمة .

قال : فما سوء (١) القول ؟

قال : الكذب (٢) .

قال : فما سوء (٣) العمل ؟

قال : معصية الله عز وجل .

قال : أخبرني كيف الاقتصاد في الهمة ؟

قال : التذكر لزوال الدنيا وانقطاع أمرها ، والكف عن الامور التي فيها النقمة والتبعة في الاخرة .

قال : فما السخاء (١) ؟

قيل فما الكلفة ؟ قال : كلامك فيما لا يعنيك . قيل : وما السفاه ؟ قال : الأحمق في ماله المتهاون بعرضه . قيل : فما اللؤم ؟ قال : إحراز المرء نفسه وإسلامه عرسه . (تحف العقول : ص٢٢٥ ، بحار الانوار : ج٧٥ ص١٠٢) .

(١)في بعض النسخ : شر مكان سوء .

(٢) الكذب هو : الاخبار بما لا يصابق الواقع وهو صفة من صفات المافق وسبب الكذب قد يكون لجلب النفع الى الانسان او دفع ضرر عنه ولا يكذب الانسان الا لحخفة في نفسه والتواء في باطنه وانهزام في رؤوحه والا فالصريح المستقيم لا يحتاحج الى الكذب وقد ذم الله الكذب في قوله تعالى (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ) (سورة الزمر ، الاية : ٦٠) . وقد ذم كذلك اهل البيت عليهم السلام الكذب وقبحوه وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال : لعن الله الكاذب ولو كان مازحا . وعن الامام علي عليه السلام : الصدق امانة والكذب خيانة . والكاذب محتقر بين الناس ولا يثق به احد ، ذليل في الدنيا معاقب في الاخرة . (الخصال : ص٥٠٥) .

(٣) في بعض النسخ : شر مكان سوء .

قال : إعطاء المال في سبيل الله عز وجل .

قال : فما الكرم (٢) ؟

قال : التقوى (٣) .

---

(١) السخاء : وهو الجود والكرم ، وهو وسط بين البخل والاسراف ، وهو تقدير البخل والامساك بقدر الواجب اللائق ، وهو ثمرة الزهد . والسخاء من اوصاف النبيين ومعالي اخلاقهم . وقد قال الله تعالى : (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) . (سورة الاسراء ، الاية : ٢٩) . وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال : السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار . وعن الامام الصادق عليه السلام : جاهل سخي افضل من ناسك بخيل . وعن النبي صلى الله عليه واله : اجود الناس من جاد بنفسه وماله في سبيل الله . ومن علامات السخاء ان لايبالي من اكل الدنيا ومن ملكها مؤمن او كافر ، وشريف او وضيع ، يطعم غيره ويجوع ، ويكسو غيره ويعرى ، ويعطي غيره ويمتنع من قبول عطاء غيره . ومن نتائج السخاء : يؤدي الى المحبة ، يزيد في الرزق ، يزيد في الاصدقاء السيادة .

(٢) الكرم الابتداء بالعطية قبل المسالة واطعام الطعام في المحل ، الكرم احتمال الجريرة ، الكرم حسن الاصطبار ، الكرم تحمل اعباء المغارم ، الكرم بذل الجود وانجاز الموجود ، الكرم ملك اللسان وبذل الاحسان ، الكرم التنزه عن المساوي ، الكرم حسن السجية واجتناب الدنية . وعن الامام علي عليه السلام من الكرم الوفاء بالذمم . وعنه عليه السلام : من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه ، وحنينه الى اوطانه ، ووحفظه قديم اخوانه . ومن صفات الكريم : يبدا بالاحسان ، لين عطوف ، يشكر القليل ، يجود بالموجود ، يتجنب المحارم ، ويتنزه عن العيوب ، يجازي الاساءة بالاحسان ، النصيحة ، الوفاء بالعهود . ومن نتائج الكرم : التعامل بشكل صحيح مع الدنيا ، حب الله تعالى للكريم ، احترام الناس .

(٣) التقوى هو : ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وبمعنى اخر هو الخشية والخوف من الله عز وجل وهو ايضا اتقاء ما يجر الانسان الى النار بالامتثال لاوامر الله واجتناب نواهيه بالتخلي عن كل رذيلة والتحلي بكل فضيلة . وقد قال الله تعالى في كتابه المجيد (وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) . (سورة البقرة ، الاية : ١٩٤) .وقد روى الكثير من الروايات عن اهل البيت منها : قال الامام علي عليه السلام : التقوى رئيس الاخلاق . وقال الامام الصادق عليه السلام : ان قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى . وعن رسول

قال : فما البخل (١) ؟

قال : منع الحقوق عن أهلها وأخذها من غير وجهها .

قال : فما الحرص (٢) ؟

قال : الاخلاد إلى الدنيا ، والطماح إلى الامور التي فيها الفساد ، وثمرتها عقوبة الاخرة .

قال : فما الصدق (٣) ؟

الله صلى الله عليه واله قال : المتقون سادة والفقهاء قادة والجلوس لهم عبادة . ومن نتائج التقوى : التقوى تؤدي الى العزة والكرامة ، التقوى تفرج الهموم وتكشف الغموم وتذهب بالضيق ، التقوى تسهل المصاعب وتذهب بالشدائد .

(١) البخل وهو الامساك حيث ينبغي البذل وهو نتيجة حب الدنيا . وقد ذمه الله تعالى واهل البيت عليهم السلام فقال الله تعالى في كتابه المجيد (وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ) . (سورة محمد ، الاية : ٣٨) .وقال رسول الله صلى الله عليه واله : جاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل . وعن الامام الصادق عليه السلام قال : خياركم سمحاؤكم وشراركم بخلاؤكم . وعن الامام الهادي عليه السلام قال : البخل اذم الاخلاق . وعن رسول الله صلى اله عليه واله قال : اقا الناس راحة البخيل . ومن نتائج البخل : قلة الاصدقاء وكثرة الاعداء ، البخل ذل ، تعحجير الفقر ، قد يؤدي الى قطيعة الرحم ، الكسب الحرام ، قلة الراحة ، الامتناع عن اخراج الحقوق الشرعية .

(٢) الحرص هو : الجشع وهو ان لا ينتهي الانسان الى حد معين في الطلب وهو اقوى شعب حب الدنيا وكله ذم ومهانة . وحرص على الشيء اشتدت رغبته فيه . وقد ذم اهل البيت الحرص في اقول كثيرة منها : قال الامام الباقر عليه السلام : مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى تموت غما . وقال رسول الله صلى الله عليه واله : لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب . ومن نتائج الحرص : الحرص يزري بالمروة ، الحرص ينقص قدر الرجل ولا يزيد في رزقه ، الحرص موقع كثير العيوب ، الحرص يؤذي صاحبه .

(٣) الصدق : وهو ملكة نفسانية سامية وقوة وارادة يستطيع بها الانسان ان يبرهن عن حسن خلقه بلا تكلف منه . وهو الاخبار بما يطابق الواقع .

قال : طريقة في الدين بأن لا يخادع المرء نفسه ولا يكذبها .

قال : فما الحمق (١) ؟

قال : الطمأنينة إلى الدنيا وترك ما يدوم ويبقى .

قال : فما الكذب ؟

قال : أن يكذب المرء نفسه فلا يزال بهواه شعفا ولدينه مسوفا .

قال : أي الرجال أكملهم في الصلاح ؟

قال : أكملهم في العقل وأبصرهم بعواقب الامور ، وأعملهم بخصومة . وأشدهم منهم احتراسا .

قال : أخبرني ما تلك العاقبة وما اولئك الخصماء الذين يعرفهم العاقل فيحترس منهم ؟

قال : العاقبة الاخرة ، والعناء الدنيا .

قال : فما الخصماء ؟

قال : الحرص والغضب (٢) .

---

(١) الحمق وهو قلة العقل . وتشمل الحماقة التهور في الامور والكلام والتدخل فيما لا يعني وقلة العلم والفهم وقد روي عن اهل البيت احاديث منها : عن الامام علي عليه السلام انه قال : الحمق داء لا يداوى ومرض لا يبرا وقال : الحمق شقاء وقال : الاحمق غريب في بلدته مهان بين اعزته .

(٢) الغضب : استجابة لانفعال تتميز بالميل الى الاعتداء . والغضب شعلة من نار وارتفاع حرارة الانسان المختفية داخله فيفور الدم ويغلي ويرتفع حتى يحمر وجهه وعيونه . ومن اثار الغضب : تغير اللون ، شدة الرجفة في الاطراف ، خروج الافعال عن الترتيب والنظام ، اضطراب الحركة والكلام ، احمرار العين وخروج الزباد من الفم . ومن اثاره على اللسان : انطلاقه بالشتم والفحش وقبح الكلام بحيث يخجل الانسان منه اذا كان هادئا . ومن اثاره على الاعضاء : ضرب الاخرين والهجوم عليهم وقد يصل الى حد قتل الاخرين ولكن بعد فتور الغضب يعلم الانسان عظيم ما جنى على نفسه . ومن اثاره على القلب : الحسد والحقد على الاخرين ، العزم على افشاء سر الاخرين ، وحتى اذا كتم الانسان غيظه لعدم استطاعته

والحسد (١) .

و الحمية (٢) والشهوة والرياء (٣) واللجاجة .

الاستمرار في الغضب تحول ذلك الى حقد دفين في قلبه يؤدي به الى كره المغضوب عليه واستغابته وهتك اسراره وقطيعته والاستهزاء به .وقال اهل البيت في الغضب وذمه ، قال رسول الله صلى الله عليه واله : الغضب يجمع الشر كله . وعن الامام علي عليه السلام : الغضب يردي صاحبه ويبدي معايبه . وقال الامام علي عليه السلام : اياك والغضب فاوله جنون واخره ندم .

(١) الحاسد : هو الذي يتمنى زوال النعمة عن صاحبها وان لم يردها لنفسه . والحسد مذموم ويدعو الانسان الى الحقد والبغض والكره . والحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا يداوى امراض القلب الا بالعلم والعمل وذلك بان تعلم حقيقة الحسد وضرره على الانسان في الدنيا والاخرة ، وان المحسود لا ضرر عليه بل يستفيد من ذلك بان يحصل على الثواب ، ويجب ان يعرف الحاسد ان ما عنده وعند غيره هو من قضاء الله وقدره .وان الحسد لا يورث الا التالم والعذاب والهم والغم بلا مقابل وبلا فائدة . وقد ذم الله تعالى الحسد في قوله تعالى (ام يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِه) (سورة النساء ، الاية : ٥٤) . وقال تعالى في كتابه ايضا (وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (سورة الفلق ، الاية : ٥) . وقد روي عن اهل البيت ايضا في ذم الحسد منها : روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال : الحسد شر الامراض . وعنه عليه السلام قال : الحاسد لا يشفيه الا زوال النعمة . وعنه عليه السلام ايضا : الحاسد يفرح بالشر ويغتم بالسرور . وقال لقمان الحكيم لابنه : للحاسد ثلاث علامات : يغتاب اذا غاب ، ويتملق اذا شهد ويشمت بالمصيبة . ومن نتائج الحسد : عذاب وحسرة وتالم للانسان نفسه ، مرض الجسد ، شقاء في الدنيا والاخرة ، انخفاض المنزلة وانحطاط المرتبة ونفور الناس من الحاسد ، الضرر للنفس ، الحزن والهم ، ذهاب حسناته وغضب الله عليه .

(٢) الحمية : وهو السعي في المحافظة على الدين ، والنساء ، والاولاد ، والاموال وهي من نتائج الشجاعة وكبر النفس وقوتها ، فعلى قدر الحمية تكون الشجاعة وثمرة الشجاعة الغيرة .

(٣) الرياء : وهو طلب المنزلة في قلوب الناس بان يظهر خصال معينة يظهرها للناس من قول او فعل ولا يكون مراده ثواب الله اصلا كالذي يصلي بين الناس حتى يشاهدوه ولو انفره لم يصلي ، او يشرك بين طلب الثواب من الله ومشاهدة الناس له فرؤسة الناس له مشجعة له . ومن علامات المرائي انه يكسل في الخلوة وينشط عند الناس . وهدف المرائي من فعله حصوله

قال : أي هؤلاء الذين عددت أقوى وأجدر أن لا يسلم منه ؟

قال : الحرص أقل رضا وأفحش غضبا ، والغضب أجور سلطانا وأقل شكرا وأكسب للبغضاء ، والحسد أسوء الخيبة للنية ، وأخلف للظن ، والحمية أشد لجاجة وأفضع معصية ، والحقد (١) أطول توقدا وأقل رحمة وأشد سطوة ، والرياء أشد خديعة ، وأخفى اكتنانا وأكذب ، واللجاجة أعي حصومة ، وأقطع معذرة .

قال : أي مكائد الشيطان للناس في هلاكهم أبلغ ؟

قال : تعميته عليهم البر والاثم والثواب والعقاب وعواقب الامور في ارتكاب الشهوات .

على حاجة دنيويه وليس الهدف الكامل له حصوله على الثواب الالهي . اقسام الرياء : رياء محض : وهو الرياء المؤكد والثابت على الانسان بان يريد بعمله نفع الدنيا ولا يريد به الله عز وجل . الرياء المخلزط: وهو الذي يريد بفعله منافع الدنيا والتقرب الى الله ومثال ذلك : يدخل بالصلاة الله ولكن بعد ذلك يدخله الرياء بان يحاول ان يزيد في صلاته لان هناك نارا ينظر له . وقال رسول الله صلى الله عليه واله في ذم الرياء : ان الله تعالى لا يقبل عملا فيه مثقال ذرة من رئاء . وعن الامام علي عليه السلام : المرائي ظاهره جميل وباطنه عليل .

(١) الحقد : وهو اضمار نية السوء والحرص والتربص على الايذاء ان حانت الفرصة وسببه الغضب ويؤدي بالانسان الى الحسد على المحقود عليه والشمائه بمصيبتة وهجرانه والاعراض عنه واغتيابه وافشاء سره والاستهزاء به ومنعه حقوقه ، وقال الامام علي عليه السلام : الحقد الام العيوب وقال : الحقد ثار الغضب وقال : الحقد شيمة الحسدة وقال : الحقد من طبايع الاشرار وقال : سبب الفتن الحقد وقال : سلاح الشر الحقد وقال : الحقود معذب النفس متضاعف الهم وقال : ليس لحقود اخوة . وقال النبي صلى الله عليه واله : المؤمن ليس بحقود . عن الامام العسكري عليه السلام قال : اقل الناس راحة الحقود .

{ الحكمة : ٤٨ }

ما هي القوة التي قوى اللّه عز وجل بها العباد

قال : أخبرني بالقوة التي قوى الله عز وجل بها العباد في تغالب تلك الامور السيئة والاهواء المردية ؟

قال : العلم والعقل والعمل بهما .

وصبر النفس عن شهواتها .

والرجاء للثواب في الدين .

وكثرة الذكر لفناء الدنيا ، وقرب الاجل .

والاحتفاظ من أن ينقض ما يبقى بما يفنى .

واعتبار ماضي الامور بعاقبتها .

والاحتفاظ بما لا يعرف إلا عند ذوي العقول .

وكف النفس عن العادة السيئة وحملها على العادة الحسنة ، والخلق المحمود .

وأن يكون أمل المرء بقدر عيشه حتى يبلغ غايته .

فإن ذلك هو القنوع وعمل الصبر والرضا بالكفاف واللزوم للقضاء والمعرفة بما فيه في الشدة من التعب وما في الافراط من الاغتراف .

وحسن العزاء عمافات .

وطيب النفس عنه وترك معالجة مالا يتم .

والصبر بالامور التي إليها يرد .

واختيار سبيل الرشد على سبيل الغي .

وتوطين النفس على أنه إن عمل خيرا جزي به وإن عمل شرا جزي به .

والمعرفة بالحقوق والحدود في التقوى ، وعمل النصيحة .

وكف النفس عن اتباع الهوى وركوب الشهوات .
وحمل الامور على الرأي والاخذ بالحزم والقوة .
فإن أتاه البلاء أتاه وهو معذور غير ملوم .

{ الحكمة : ٤٩ }

أي الادب أحسن

قال ابن الملك : أي الاخلاق أكرم وأعز (١) ؟

---

(١) في حوار بين شمعون بن لاوي والنبي صلى الله عليه واله وهي مشابهة الى هذي الحوارية : في جمله خبر طويل ومسائل كثيرة سأله عنها راهب يعرف بشمعون بن لاوي ابن يهودا من حواري عيسى عليه السلام فأجابه عن جميع ما سأل عنه على كثرته فآمن به وصدقه ، وكتبنا منه موضع الحاجة إليه . ومنه قال : أخبرني عن العقل ما هو وكيف هو وما يتشعب منه وما لا يتشعب وصف لي طوائفه كلها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن العقل عقال من الجهل ، والنفس مثل أخبث الدواب فعن لم تعقل حارت ، فالعقل عقال من الجهل ، وإن الله خلق العقل فقال له : أقبل ، فأقبل وقال له : أدبر فأدبر ، فقال الله تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أعظم منك ولا أطوع منك ، بك أبدء وبك أعيد ، لك الثواب وعليك العقاب ، فتشعب من العقل الحلم ومن الحلم العلم ومن العلم الرشد ومن الرشد العفاف ومن العفاف الصيانة ومن الصيانة الحياء ومن الحياء الرزانة ومن الرزانة المداومة على الخير ومن المداومة على الخير كراهية الشر ومن كراهية الشر طاعة الناصح ، فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير ولكل واحد من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع . فأما الحلم : فمنه ركوب الجميل وصحبة الأبرار ورفع من الضعة ورفع من الخساسة وتشهي الخير وتقرب صاحبه من معالي الدرجات والعفو والمهل والمعروف والصمت ، فهذا ما يتشعب للعاقل بحلمه. وأما العلم ، فيتشعب منه الغنى وإن كان فقيرا والجود وإن كان بخيلا والمهابة وإن كان هينا والسلامة وإن كان سقيما والقرب وإن كان قصيا والحياء وإن كان صلفا والرفعة وإن كان وضيعا والشرف وإن كان رذلا والحكمة والحظوة ، فهذا ما يتشعب للعاقل بعلمه ، فطوبى لمن عقل وعلم . وأما الرشد فيتشعب منه السداد والهدى والبر والتقوى والمنالة و القصد والاقتصاد والصواب والكرم والمعرفة بدين الله ، فهذا ما أصاب العاقل بالرشد فطوبى لمن أقام به على منهاج الطريق . وأما العفاف ، فيتشعب منه الرضا والاستكانة والحظ والراحة والتفقد والخشوع والتذكر والتفكر والجود والسخاء ، فهذا ما يتشعب للعاقل بعفافه رضى بالله وبقسمه . وأما الصيانة ، فيتشعب

منها الصلاح والتواضع والورع والإنابة والفهم والأدب والاحسان والتحبب والخير واجتناء البشر ، فهذا ما أصاب العاقل بالصيانة ، فطوبى لمن أكرمه مولاه بالصيانة . وأما الحياء : فيتشعب منه اللين والرأفة والمراقبة لله في السر والعلانية و السلامة واجتناب الشر والبشاشة والسماحة وللظفر وحسن الثناء على المرء في الناس ، فهذا ما أصاب العاقل بالحياء ، فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيحته. وأما الرزانة ، فيتشعب منها اللطف والحزم وأداء الأمانة وترك الخيانة وصدق اللسان وتحصين الفرج واستصلاح المال والاستعداد للعدو والنهي عن المنكر وترك السفه ، فهذا ما أصاب العاقل بالرزانة ، فطوبى لمن توقر ولمن لم تكن له خفة ولا جاهلية وعفا وصفح. وأما المداومة على الخير ، فيتشعب منه ترك الفواحش والبعد من الطيش والتحرج واليقين وحب النجاة وطاعة الرحمن وتعظيم البرهان واجتناب الشيطان والإجابة للعدل وقول الحق ، فهذا ما أصاب العاقل بمداومة الخير ، فطوبى لمن ذكر أمامه وذكر قيامه واعتبر بالفناء. وأما كراهية الشر ، فيتشعب منه الوقار والصبر والنصر والاستقامة على المنهاج والمداومة على الرشاد والايمان بالله والتوفر والاخلاص وترك ما لا يعنيه والمحافظة على ما ينفعه ، فهذا ما أصاب العاقل بالكراهية للشر ، فطوبى لمن أقام بحق الله وتمسك بعرى سبيل الله. وأما طاعة الناصح ، فيتشعب منها الزيادة في العقل وكمال اللب ومحمدة العواقب والنجاة من اللوم والقبول والمودة والانشراح والانصاف والتقدم في الأمور والقوة على طاعة الله ، فطوبى لمن سلم من مصارع الهوى ، فهذه الخصال كلها تتشعب من العقل . قال شمعون : فأخبرني عن أعلام الجاهل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن صحبته عناك وإن اعتزلته شتمك وإن أعطاك من عليك وإن أعطيته كفرك وإن أسررت إليه خانك وإن أسر إليك اتهمك وإن استغنى بطر وكان فظا غليظا وإن افتقر جحد نعمة الله ولم يتحرج وإن فرح أسرف وطغى وإن حزن أيس وإن ضحك فهق ، وإن بكى خار ، يقع في الأبرار ولا يحب الله ولا يراقبه ولا يستحيي من الله ولا يذكره ، إن أرضيته مدحك وقال فيك من الحسنة ما ليس فيك وإن سخط عليك ذهبت مدحته ووقع فيك من السوء ما ليس فيك ، فهذا مجرى الجاهل. قال : فأخبرني عن علامة الاسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : الايمان والعلم والعمل : قال : فما علامة الايمان وما علامة العلم وما علامة العمل ؟ . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أما علامة الايمان فأربعة : الاقرار بتوحيد الله والايمان به والايمان بكتبه والايمان برسله . وأما علامة العلم فأربعة : العلم بالله . والعلم بمحبيه . والعلم بفرائضه . والحفظ لها حتى تؤدى . وأما العمل : فالصلاة والصوم والزكاة والاخلاص . قال : فأخبرني عن علامة الصادق ، وعلامة المؤمن ، وعلامة الصابر ، وعلامة التائب ، وعلامة الشاكر ، وعلامة الخاشع ، وعلامة الصالح

وعلامة الناصح وعلامة الموقن ، وعلامة المخلص ، وعلامة الزاهد ، وعلامة البار ، وعلامة التقي ، وعلامة المتكلف وعلامة الظالم ، وعلامة المرائي ، وعلامة المنافق ، وعلامة الحاسد ، وعلامة المسرف ، وعلامة الغافل وعلامة الخائن وعلامة الكسلان ، وعلامة الكذاب ، وعلامة الفاسق ؟ . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أما علامة الصادق فأربعة : يصدق في قوله ويصدق وعد الله ووعيده ويوفي بالعهد ويجتنب الغدر . وأما علامة المؤمن : فإنه يرؤف ويفهم ويستحيي . وأما علامة الصابر فأربعة : الصبر على المكاره ، والعزم في أعمال البر ، والتواضع ، والحلم . وأما علامة التائب فأربعة : النصيحة لله في عمله وترك الباطل . ولزوم الحق والحرص على الخير . وأما علامة الشاكر فأربعة : الشكر في النعماء ، والصبر في البلاء ، والقنوع بقسم الله ، ولا يحمد ولا يعظم إلا الله . وأما علامة الخاشع فأربعة : مراقبة الله في السر والعلانية ، وركوب الجميل والتفكر ليوم القيامة . والمناجاة لله . وأما علامة الصالح فأربعة : يصفي قلبه ، ويصلح عمله ، ويصلح كسبه ويصلح أموره كلها . وأما علامة الناصح فأربعة : يقضي بالحق . ويعطي الحق من نفسه . ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه . ولا يعتدي على أحد . وأما علامة الموقن فستة : أيقن بالله حقا فآمن به وأيقن بأن الموت حق فحذره . وأيقن بأن البعث حق فخاف الفضيحة . وأيقن بأن الجنة حق فاشتاق إليها . وأيقن بأن النار حق فظهر سعيه للنجاة منها . وأيقن بأن الحساب حق فحاسب نفسه . وأما علامة المخلص فأربعة : يسلم قلبه وتسلم جوارحه ، وبذل خيره ، و كف شره . وأما علامة الزاهد فعشرة ، يزهد في المحارم . ويكف نفسه . ويقيم فرائض ربه فإن كان مملوكا أحسن الطاعة وإن كان مالكا أحسن المملكة وليس له حمية و لا حقد ، يحسن إلى من أساء إليه وينفع من ضره . ويعفو عمن ظلمه . ويتواضع لحق الله . وأما علامة البار فعشرة ، يحب في الله . ويبغض في الله . ويصاحب في الله . و يفارق في الله . ويغضب في الله . ويرضى في الله . ويعمل لله . ويطلب إليه . ويخشع لله ، خائفا ، مخوفا ، طاهرا ، مخلصا ، مستحييا ، مراقبا . ويحسن في الله . وأما علامة التقي فستة : يخاف الله . ويحذر بطشه ويمسي ويصبح كأنه يراه ، لا تهمه الدنيا ، ولا يعظم عليه منها شئ لحسن خلقه. وأما علامة المتكلف فأربعة : الجدال فيما لا يعنيه ، وينازع من فوقه ، ويتعاطى ما لا ينال ، ويجعل همه لما لا ينجيه . وأما علامة الظالم فأربعة : يظلم من فوقه بالمعصية ، ويملك من دونه بالغلبة ويبغض الحق ، ويظهر الظلم. وأما علامة المرائي فأربعة : يحرص في العمل إذا كان عنده أحد ويكسل إذا كان وحده . ويحرص في كل أمره على المحمدة ويحسن سمته بجهده. وأما علامة المنافق فأربعة : فاجر دخله يخالف لسانه قلبه . وقوله فعله و سريرته علانيته ، فويل للمنافق من النار . وأما علامة الحاسد فأربعة : الغيبة والتملق والشماتة بالمصيبة. وأما علامة

المسرف فأربعة : الفخر بالباطل . ويأكل ما ليس عنده . ويزهد في اصطناع المعروف. وينكر من لا ينتفع بشئ منه . وأما علامة الغافل فأربعة : العمى ، والسهو ، واللهو ، والنسيان . وأما علامة الكسلان فأربعة : يتوانى حتى يفرط . ويفرط حتى يضيع . و يضيع حتى يضجر ويضجر حتى يأثم . وأما علامة الكذاب فأربعة : إن قال لم يصدق ، وإن قيل له لم يصدق ، و النميمة والبهت . وأما علامة الفاسق فأربعة : اللهو واللغو والعدوان والبهتان . وأما علامة الخائن فأربعة : عصيان الرحمن وأذى الجيران وبغض الاقران والقرب إلى الطغيان . فقال شمعون : لقد شفيتني وبصرتني من عماي ، فعلمني طرائق أهتدي بها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا شمعون إن لك أعداء يطلبونك ويقاتلونك ليسلبوا دينك من الجن والإنس ، فأما الذين من الانس فقوم لا خلاق لهم في الآخرة ولا رغبة لهم فيما عند الله ، إنما همهم تعيير الناس بأعمالهم ، لا يعيرون أنفسهم ولا يحاذرون أعمالهم ، إذ رأوك صالحا حسدوك وقالوا : مراء ، وإن رأوك فاسدا قالوا : لا خير فيه. وأما أعداؤك من الجن فإبليس وجنوده ، فإذا أتاك فقال : مات ابنك ، فقل إنما خلق الاحياء ليموتوا وتدخل بضعة مني الجنة ، إنه ليسرني ، فإذا أتاك وقال : قد ذهب مالك ، فقل : الحمد لله الذي أعطى وأخذ وأذهب عني الزكاة ، فلا زكاة علي ، وإذا أتاك وقال لك : الناس يظلمونك وأنت لا تظلم ، فقل : (إنما السبيل - يوم القيامة - على الذين يظلمون الناس) (وما على المحسنين من سبيل) ، وإذا أتاك وقال لك : ما أكثر إحسانك ، يريد أن يدخلك العجب ، فقل : إساءتي أكثر من إحساني ، وإذا أتاك وقال لك : ما أكثر صلاتك ، فقل : غفلتي أكثر من صلاتي ، وإذا قال لك : كم تعطي الناس ، فقل : ما آخذ أكثر مما أعطي ، وإذا قال لك : ما أكثر من يظلمك ، فقل : من ظلمته أكثر ، وإذا أتاك وقال لك : كم تعمل ، فقل : طال ما عصيت ، وإذا أتاك وقال لك : اشرب الشراب ، فقل : لا أرتكب المعصية ، وإذا أتاك وقال لك : ألا تحب الدنيا ؟ ، فقل : ما أحبها وقد اغتر بها غيري . يا شمعون خالط الأبرار واتبع النبيين : يعقوب ويوسف وداود ، إن الله تبارك وتعالى لما خلق السفلى فخرت وزخرت وقالت : أي شئ يغلبني ؟ فخلق الأرض فسطحها على ظهرها ، فذلت ، ثم إن الأرض فخرت وقالت : أي شئ يغلبني ؟ فخلق الله الجبال ، فأثبتها على ظهرها أوتادا من أن تميد بما عليها ، فذلت الأرض واستقرت ، ثم إن الجبال فخرت على الأرض ، فشمخت واستطالت وقالت : أي شئ يغلبني ؟ فخلق الحديد ، فقطعها ، فذلت ، ثم إن الحديد فخر على الجبال وقال : أي شئ يغلبني ؟ فخلق النار ، فأذابت الحديد ، فذل الحديد ، ثم إن النار زفرت وشهقت و فخرت وقالت : أي شئ يغلبني ؟ فخلق الماء ، فأطفأها فذلت ، ثم إن الماء فخر و زخر وقال : أي شيء يغلبني ؟ فخلق الريح ، فحركت أمواجه وأثارت ما في قعره وحبسته عن

قال : التواضع ولين الكلمة للاخوان في الله عز وجل .

قال : أي العبادة أحسن ؟

قال : الوقار والمودة.

قال :فاخبرني أي الشيم أفضل ؟

قال : حب الصالحين .

قال : أي الذكر أفضل ؟

قال : ما كان في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال : فأي الخصوم ألد ؟

قال : ترك الذنوب .

قال ابن الملك : أخبرني أي الفضل أفضل ؟

قال : الرضا بالكفاف .

قال : أخبرني أي الادب أحسن ؟

قال : أدب الدين .

قال : أي الشيء أجفا ؟

قال السلطان العاتي ، والقلب القاسي .

قال : أي شيء أبعد غاية ؟

قال : عين الحريص التي لا يشبع من الدنيا .

قال : أي الامور أخبث عاقبة ؟

مجاريه ، فذل الماء ، ثم إن الريح ، فخرت وعصفت وقالت : أي شيء يغلبني ؟ فخلق الانسان ، فبنى واحتال ما يستتر به من الريح وغيرها فذلت الريح ، ثم إن الانسان طغى وقال : من أشد مني قوة ، فخلق الموت فقهره ، فذل الانسان ، ثم إن الموت فخر في نفسه ، فقال الله عز وجل : لا تفخر فإني ذابحك بين الفريقين : أهل الجنة وأهل النار ، ثم لا أحييك أبدا فخاف ثم قال : والحلم يغلب الغضب والرحمة تغلب السخط والصدقة تغلب الخطيئة . (الكافي : ج٨ ص١٤٧) .

قال : التماس رضى الناس في سخط الله عز وجل .

قال : أي شيء أسرع تقلبا .

قال : قلوب الملوك الذين يعملون للدنيا .

قال : فأخبرني أي الفجور أفحش ؟

قال : إعطاء عهدالله والغدر فيه .

قال : فأي شيء أسرع انقطاعا .

قال : مودة الفاسق .

قال : فأي شيء أخون ؟

قال : لسان الكاذب .

قال : فأي شيء أشد اكتتاما ؟

قال : شر المرائي المخادع .

قال : فأي شيء أشبه بأحوال الدنيا ؟

قال : أحلام النائم .

قال : أي الرجال أفضل رضى ؟

قال : أحسنهم ظنا بالله عز وجل وأتقاهم وأقلهم غفلة عن ذكر الله وذكر الموت وانقطاع المدة .

قال : أي شيء من الدنيا أقر للعين ؟

قال : الولد الاديب والزوجة الموافقة المؤاتية المعينة على أمر الاخرة .

قال : أي الداء ألزم في الدنيا ؟

قال : الولد السوء والزوجة السوء اللذين لا يجد منهما بدا .

قال : أي الخفض أخفض ؟

قال : رضى المرء بحظه واستيناسه بالصالحين .

{ الحكمة : ٥٠ }

أردت مساءلتك عن أهم الاشياء

ثم قال ابن الملك للحكيم : فرغ لي ذهنك فقد أردت مساءلتك عن أهم الاشياء إلي بعد إذ بصرني الله عز وجل من أمري ما كنت به جاهلا ، ورزقني من الدين ما كنت منه آيسا .

قال الحكيم : سل عما بدالك .

قال ابن الملك : أرأيت من اوتي الملك طفلا ودينه عبادة الاوثان وقد غذي بلذات الدنيا واعتادها ونشأ فيها إلى أن كان رجلا وكهلا لا ينتقل من حالته تلك في جهالته بالله تعالى ذكره وإعطائه نفسه شهواتها متجردا لبلوغ الغاية فيما زين له من تلك الشهوات مشتغلا بها ، مؤثرا لها ، جريا عليها ، لا يرى الرشد إلا فيها ، ولا تزيده الايام إلا حبا لها واغترارا بها وعجبا وحبا لاهل ملته ورأيه وقد دعته بصيرته في ذلك إلى أن جهل أمر آخرته وأغفلها فاستخفها وسها عنها قساوة قلب وخبث نية وسوء رأي ، واشتدت عداوته لمن خالفه من أهل الدين والاستخفاء بالحق والمغيبين لاشخاصهم انتطارا للفرج من ظلمه وعداوته هل يطمع له إن طال عمره في النزوع عما هو عليه ؟ والخروج منه إلى ما الفضل فيه بين والحجة فيه واضحة ؟ والحظ جزيل من لزوم ما أبصرت من الدين فيأتي ما يرجى له ﴿ بعد ﴾ مغفرة ما قد سلف من ذنوبه وحسن الثواب في مآبه .

قال الحكيم : قد عرفت هذه الصفة ، وما دعاك إلى هذه المسألة ؟ .

قال ابن الملك : ماذاك منك بمستنكر لفضل ما اوتيت من الفهم وخصصت به من العلم .

قال الحكيم : أما صاحب هذه الصفة فالملك والذي دعاك إليه العناية بما سألت عنه ، والاهتمام به من أمره ، والشفقة عليه من عذاب ما أو عد الله عز وجل من كان على مثل رأيه وطبعه وهواه ، مع ما نويت من ثواب الله تعالى ذكره في أداء حق ما أوجب الله عليك له ، وأحسبك تريد بلوغ غاية العذر في التلطف لانفاذه و إخراجه عن عظيم الهول ودائم البلاء الذي لا انقطاع له من عذاب الله إلى السلامة وراحة الابد في ملكوت السماء .

{ الحكمة : ٥١ }

العدو الذي لا يرى ولا يمكن مقاومته

قال ابن الملك : لم تجم (١) حرفا عما أردت فأعلمني رأيك فيما عنوت من أمر الملك وحاله التي أتخوف أن يدركه الموت عليها فتصيبه الحسرة والندامة حين لا اغني عنه شيئا فاجعلني منه على يقين وفرج عني فأنا به مغموم شديد الاهتمام به فإني قليل الحيلة فيه .

قال الحكيم : أما رأينا فإنا لا نبعد مخلوقا من رحمة الله خالقه عز وجل ولا نأيس له منها مادام فيه الروح ، وإن كان عاتيا طاغيا ضالا لما قد وصف ربنا تبارك وتعالى به نفسه من التحنن والرأفة والرحمة ودل عليه من الايمان وما أمر به من الاستغفار والتوبة وفي هذا فضل الطمع لك في حاجتك إن شاء الله ، وزعموا أنه كان في زمن من الازمان ملك عظيم الصوت في العلم ، رفيق سايس يحب العدل في امته والاصلاح لرعيته ، عاش بذلك زمانا بخير حال ، ثم هلك فجزعت عليه امته وكان بامرأة له حمل فذكر المنجمون والكهنة أنه غلام وكان يدبر ملكهم من كان يلي ذلك في زمان ملكهم فاتفق الامر كما ذكره المنجمون والكهنة وولد من ذلك الحمل غلام فأقاموا عند ميلاده سنة بالمعازف والملاهي والاشربة والاطعمة ، ثم إن أهل العلم منهم والفقه والربانيين قالوا لعامتهم : إن هذا المولود إنما هو هبة من الله تعالى وقد جعلتم الشكر لغيره وإن كان هبة من غير الله عز وجل فقد أديتم الحق إلى من أعطاكموه واجتهدتم في الشكر لمن رزقكموه ، فقال لهم العامة : ما وهبه لنا إلا الله تبارك وتعالى ، ولا امتن به علينا غيره ، قال العلماء : فإن

---

(١) هذه اللفظة يمكن ان يكون بالجيم والراء أي لم تخطا او بالحاء المهملة على صيغة المفعول أي لم تمنع من فهمه . او بالخاء المعجمة أي لم تترك ، او بالزاري أي لم تشك .

كان الله عز وجل هو الذي وهبه لكم فقد أرضيتم غير الذي أعطاكم وأسخطتم الله الذي وهبه لكم فقالت لهم الرعية : فأشيروا لنا أيها الحكماء وأخبرونا أيها العلماء فنتبع قولكم ونتقبل نصيحتكم ، ومرونا بأمركم .

قالت العلماء : فإنا نرى لكم أن تعدلوا عن اتباع مرضات الشيطان بالمعازف والملاهي والمسكر إلى ابتغاء مرضات الله عز وجل وشكره على ما أنعم به عليكم أضعاف شكركم للشيطان حتى يغفر لكم ما كان منكم .

قالت الرعية : لا تحمل أجسادنا كل الذي قلتم وأمرتم به .

قالت العلماء : يا أولى الجهل كيف أطعتم من لا حق له عليكم وتعصون من له الحق الواجب عليكم وكيف قويتم على مالا ينبغي وتضعفون عما ينبغي ؟ !

قالوا لهم : يا أئمة الحكماء عظمت فينا الشهوات وكثرت فينا اللذات فقوينا بما عظم فينا منها على العظيم من مشكلها و ضعفت منا النيات فعجزنا عن حمل المثقلات فارضوا منا في الرجوع عن ذلك يوما فيوما ، ولا تكلفونا كل هذا الثقل.

قالوا لهم : يا معشر السفهاء ألستم أبناء الجهل وإخوان الضلال حين خفت عليكم الشقوة وثقلت عليكم السعادة .

قالوا لهم :أيها السادة الحكماء والقادة العلماء إنا نستجير من تعنيفكم إيانا بمغفرة الله عز وجل ونستتر من تعييركم لنا بعفوه فلا تؤنبونا (١) ولا تعيرونا بضعفنا ولا تعيبوا الجهالة علينا فإنا إن أطعنا الله مع عفوه وحلمه وتضعيفه الحسنات أو اجتهدنا في عبادته مثل الذي بذلنا لهوانا من الباطل بلغنا حاجتنا وبلغ الله عز وجل بنا غايتنا ورحمنا كما خلقنا ، فلما قالوا ذلك أقرهم علماؤهم ورضوا قولهم فصلوا وصاموا وتعبدوا وأعظموا الصدقات سنة كاملة ، فلما انقضى ذلك منهم قالت الكهنة إن الذي صنعت هذه الامة على هذا المولود يخبر أن هذا الملك يكون فاجرا ويكون بارا ، ويكون متجبرا ويكون متواضعا ويكون مسيئا ويكون محسنا .

---

(١) انّبه – بشدّ النون – : عنفه ولامه .

وقال المنجمون مثل ذلك .

فقيل لهم : كيف قلتم ذلك ؟

قال الكهنة : قلنا هذا من قبل اللهو والمعازف والباطل الذي صنع عليه ، وما صنع عليه من ضده بعد ذلك .

وقال المنجمون : قلنا ذلك من قبل استقامة الزهرة والمشتري ، فنشأ الغلام بكبر لا يوصف عظمته ، ومرح لا ينعت ، وعدوان لا يطاق فعسف وجار وظلم في الحكم وغشم وكان أحب الناس إليه من وافقه على ذلك وأبغض الناس إليه من خالفه في شئ من ذلك ، واغتر بالشباب والصحة والقدرة والظفر والنظر فامتلا سرورا وإعجابا بما هو فه ورأى كلما يحبه وسمع كلما اشتهى حتى بلغ اثنين و ثلاثين سنة ، ثم جمع نساء من بنات الملوك وصبيانا والجواري والمخدرات وخيله المطهمات العناق (١) وألوان مراكبه الفاخرة ووصائفه وخدامه الذين يكونون في خدمته فأمرهم أن يلبسوا أجد ثيابهم ويتزينوا بأحسن زينتهم وأمر ببناء مجلس مقابل مطلع الشمس ، صفائح أرضه الذهب مفضضا بأنواع الجواهر ، طوله مائة وعشرون ذراعا وعرضه ستون ذراعا مزخرفا سقفه وحيطانه ، قد زين بكرائم الحلي وصنوف الجوهر واللؤلؤء النظيم وفاخره ، وأمر بضروب الاموال فاخرجت من الخزائن ونضدت سماطين (٢) أمام مجلسه ، وأمر جنوده وأصحابه وقواده وكتابه وحجابه وعظماء أهل بلاده وعلمائهم فحضروا في أحسن هيئتهم وأجمل جمالهم وتسلح فرسانه وركبت خيوله في عدتهم ، ثم وقفوا على مراكزهم ومراتبهم صفوفا وكراديس ، وإنما أراد بزعمه أن ينظر إلى منظر رفيع حسن تسر به نفسه وتقر به عينه ، ثم رج فصعد إلى مجلسه فأشرف على مملكته فخروا له سجدا ، فقال لبعض غلمانه :

---

(١) أي تام الحسن .

(٢) نضد المتاع - بشدّ الضاد وتخفيفها - : وتّبه وضمّ بعضه الى بعض متّسقا او مركوبا . والسماط : الشيء المصطف . وسماط الطريق جانباه .

قد نظرت في أهل مملكتي إلى منظر حسن وبقي أن أنظر إلى صورة وجهي فدعا بمرآة فنظر إلى وجهه فبينا هو يقلب طرفه فيها إذ لاحت له شعرة بيضاء من لحيته غراب أبيض بين غربان سود ، واشتد منها ذعره وفزعه (١) وتغير في عينه حاله وظهرت الكآبة والحزن في وجهه وتولى السرور منه .

ثم قال في نفسه : هذا حين نعي إلى شبابي وبين لي أن ملكي في ذهاب واوذنت بالنزول عن سرير ملكي ، ثم قال : هذه مقدمة الموت ورسول البلى (٢) لم يحجبه عني حاجب ، ولم يمنعه عني حارس ، فنعى إلى نفسي وأذن لي بزوال ملكي فما أسرع هذا في تبديل بهجتي وذهاب سروري ، وهدم قوتي ، لم يمنعه مني الحصون ولم تدفعه عني الجنود ، هذا سالب الشباب والقوة ، وما حق العز والثروة ، ومفرق الشمل وقاسم التراث بين الاولياء والاعداء ، مفسد المعاش ، ومنغص اللذات ومخرب العمارات ومشتت الجمع ، وواضع الرفيع ، ومذل المنيع ، قد أناخت بي أثقاله (٣) ونصب لي حباله .

ثم نزل عن مجلسه حافيا ماشيا ، وقد صعد إليه محمولا ، ثم جمع إليه جنوده ودعا إليه ثقاته .

فقال : أيها الملا ماذا صنعت فيكم وما أتيت إليكم منذ ملكتكم ووليت اموركم ؟

قالوا له : أيها الملك المحمود عظم بلاؤك عندنا وهذه أنفسنا مبذولة في طاعتك ، فمرنا بأمرك .

قال : طرقني عدو مخيف (٤) لم تمنعوني منه حتى نزل بي وكنتم عدتي وثقاتي.

---

(١) الذعر : الخوف والفزع .

(٢) في بعض النسخ : رسول البلاء .

(٣) اناخ البلاء على فلان : اقام عليه ، واناخ به الحاجة : أنزلها به . اناخ الجمل : ابركه .

(٤) طرق القوم : اتاهم ليلا . وفي بعض النسخ : نحيف .

قالوا : أيها الملك أين هذا العدو ؟ أيرى أم لا يرى ؟

قال : يرى بأثر ولا يرى عينه .

قالوا : أيها الملك هذه عدتنا كما ترى وعندنا سكن وفينا ذووا الحجى والنهى ، فأرناه نكفك ما مثله يكفى .

قال : قد عظم الاغترار مني بكم ووضعت الثقة في غير موضعها حين اتخذتكم وجعلتكم لنفسي جنة ، وإنما بذلت لكم الاموال ورفعت شرفكم وجعلتكم البطانة دون غيركم لتحفظوني من الاعداء وتحرسوني منهم ، ثم أيدتكم على ذلك بتشييد البلدان وتحصين المدائن والثقة من الصلاح ونحين عنكم الهموم (١) وفرغتكم للنجدة والاحتفاظ ، ولم أكن أخشى أن اراع معكم ولا أتخوف المنون على بنياني وأنتم عكوف مطيفون به فطرقت وأنتم حولي واتيت وأنتم معي ، فلئن كان هذا ضعف منكم فما أخذت أمري بثقة وإن كانت غفلة منكم فما أنتم بأهل النصيحة ولا علي بأهل الشفقة .

قالوا : أيها الملك أما شئ نطيق دفعه بالخيل والقوة فليس بواصل إليك إن شاء الله ونحن أحياء ، وأما مالا يرى فقد غيب عنا علمه وعجزت قوتنا عنه .

قال : أليس اتخذتكم لتمنعوني من عدوي .

قالوا : بلي ، قال : فمن أي عدو تحفظوني من الذي يضرني أو من الذي لا يضرني ؟

قالوا : من الذي يضرك ؟

قال : أفمن كل ضار لي أو من بعضهم ؟

قالوا : من كل ضار .

قال : فإن رسول البلى قد أتاني ينعى إلى نفسي وملكي ويزعم أنه يريد خراب ما عمرت وهدم ما بنيت وتفريق ما جمعت وفساد ما أصلحت وتبذير ما أحرزت وتبديل ما عملت وتوهين ما وثقت ، وزعم أن معه الشماتة من الاعداء وقد

---

(١) نحاه عنه أي ابعده عنه وازاله – والنجدة : الشجاعة والشدّة والباس .

قرت بي أعينهم فإنه يريد أن يعطيهم مني شفاء صدورهم وذكر أنه سيهزم جيشي ويوحش انسي ويذهب عزي ويؤتم ولدي ويفرق جموعي ويفجع بي إخواني وأهلي وقرابتي ويقطع أوصالي ويسكن مساكن أعدائي .

قالوا : أيها الملك إنما نمنعك من الناس والسباع والهوام ودواب الارض ، فأما البلاء فلا طاقع لنابه ولا قوة لنا عليه ولا امتناع لنا منه .

فقال : فهل من حيلة في دفع ذلك مني ؟

قالوا : لا .

قال : فشيء دون ذلك تطيقونه ؟

قالوا : وما هو ؟

قال : الاوجاع والاحزان والهموم .

قالوا : أيها الملك إنما قد قدر هذه الاشياء قوي لطيف وذلك يثور من الجسم والنفس وهو يصل إليك إذا لم يوصل ولا يحجب عنك وإن حجب (١) .

قال : فأمر دون ذلك .

قالوا : وما هو ؟

قال : ما قد سبق من القضاء .

قالوا : أيها الملك ومن ذا غالب القضاء فلم يغلب ؟ ومن ذاكابره فلم يقهر ؟

قال : فماذا عندكم ؟

قالوا : ما نقدر على دفع القضاء ، وقد أصبت التوفيق والتسديد فماذا الذي تريد .

قال : اريد أصحابا يدوم عهدهم ويفوا لي وتبقى لي إخوتهم ولا يحجبهم عني الموت ولا يمنعهم البلى عن صحبتي ولا يستحيل (٢) بهم الامتناع عن

---

(١) في بعض النسخ : وان حجب لم يحتجب .

(٢) وفي بعض النسخ : يشتمل .

صحبتي (١) ولا يفردوني إن مت ، ولا يسلموني إن عشت ، ويدفعون عني ما عجزتم عنه ، من أمر الموت .

قالوا : أيها الملك ومن هؤلاء الذين وصفت ؟

قال : هم الذين أفسدتهم باستصلاحكم .

قالوا : أيها الملك أفلا تصطنع عندنا وعندهم معروفا فإن أخلاقك تامة ورأفتك عظيمة ؟

قال : إن في صحبتكم إياي السم القاتل ، والصمم والعمى في طاعتكم ، والبكم في موافقتكم .

قالوا : كيف ذاك أيها الملك ؟

قال : صارت صحبتكم إياي في الاستكثار وموافقتكم على الجمع ، وطاعتكم إياي في الاغتفال فبطأتموني عن المعاد ، وزينتم لي الدنيا ، ولو نصحتموني ذكرتموني الموت ، ولو أشفقتم علي ذكرتموني البلاء ، وجمعتم لي ما يبقى ، ولم تستكثروا لي ما يفنى ، فإن تلك المنفعة التي ادعيتموها ضرر ، وتلك المودة عداوة ، وقد رددتها عليكم لا حاجة لي فيها منكم .

قالوا : أيها الملك الحكيم المحمود قد فهمنا مقالتك وفي أنفسنا إجابتك وليس لنا أن نحتج عليك فقد رأينا مكان الحجة ، فسكوتنا عن حجتنا فساد لملكنا ، وهلاك لدنيا ناوشماتة لعدونا ، وقد نزل بنا أمر عظيم بالذي تبدل من رأيك وأجمع عليه أمرك .

قال : قولوا : آمنين واذكروا ما بدالكم غير مرعوبين فإني كنت إلى اليوم مغلوبا بالحمية والانفة وأنا اليوم غالب لهما ، وكنت إلى اليوم مقهورا لهما وأنا اليوم قاهر لهما ، وكنت إلى اليوم ملكا عليكم فقد صرت عليكم مملوكا ، وأنا اليوم عتيق وأنتم من مملكتي طلقاء .

قالوا : أيها الملك ما الذي كنت مملوكا إذ كنت علينا ملكا .

---

(١) في بعض النسخ : ولا يستحيل بهم الاطماع عن نصيحتي . وفي بعضها : لا يستميل .

قال : كنت مملوكا لهواي مقهورا بالجهل مستعبدا لشهواتي فقد قطعت تلك الطاعة عني ونبذتها خلف ظهري .

قالوا : فقل ما أجمعت أيها الملك ؟

قال : القنوع والتخلي لاخرتي وترك هذا الغرور ونبذ هذا الثقل عن ظهري والاستعداد للموت ، والتأهب للبلاء ، فإن رسوله عندي قد ذكر أنه قد أمر بملازمتي والاقامة معي حتى يأتيني الموت .

فقالوا : أيها الملك ومن هذا الرسول الذي قد أتاك ولم نره ، وهو مقدمة الموت الذي لا نعرفه .

قال : أما الرسول فهذا البياض يلوح بين السواد ، وقد صاح في جميعه بالزوال فأجابوا وأذعنوا ، وأما مقدمة الموت فالبلاء الذي هذا البياض طرقه .

قالوا : أيها الملك أفتدع مملكتك وتهمل رعيتك وكيف لا تخاف الاثم في تعطيل امتك ألست تعلم أن أعظم الامر في استصلاح الناس وأن رأس الصلاح الطاعة للامة والجماعة ، فكيف لا تخاف من الاثم ، وفي هلاك العامة من الاثم فوق الذي ترجو من الاجر في صلاح الخاصة ، ألست تعلم أن أفضل العبادة العمل وأن أشد العمل السياسة ، فإنك أيها الملك ما في يديك عدل على رعيتك ، مستصلح لها بتدبيرك ، فإن لك من الاجر بقدر ما استصلحت ، ألست أيها الملك إذا خليت ما في يديك من صلاح امتك فقد أردت فسادهم ، وإذا أردت فسادهم فقد حملت من الاثم فيهم أعظم مما أنت تصيب من الاجر في خاصة يديك .

ألست أيها الملك قد علمت أن العلماء قالوا : من أتلف نفسا فقد استوجب لنفسه الفساد ، ومن أصلحها فقد استوجب الصلاح لبدنه ، وأي فساد أعظم من رفض هذه الرعية التي أنت إمامها والاقامة في هذه الامة التي أنت نظامها حاشا لك أيها - الملك أن تخلع عنك لباس الملك الذي هو الوسيلة إلي شرف الدنيا والاخرة .

قال : قد فهمت الذي ذكرتم وعقلت الذي وصفتم فإن كنت إنما أطلب الملك عليكم للعدل فيكم والاجر من الله تعالى ذكره في استصلاحكم بغير أعوان يرفدونني ووزراء يكفونني فما عسيت أن أبلغ بالوحدة فيكم ألستم جميعا نزعا إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها ولا آمن أن اخلد إلى الدنيا (١) التي أرجو أن أدعها وأرفضها ، فإن فعلت ذلك أتاني الموت على غرة ، فأنزلني عن سرير ملكي إلى بطن الارض وكساني التراب بعد الديباج والمنسوج بالذهب ونفيس الجوهر ، وضمني إلى الضيق بعد السعة ، وألبسني الهوان بعد الكرامة ، فأصبر فريدا بنفسي ليس معي أحد منكم في الوحدة ، قد أخرجتموني من العمران ، وأسلمتموني إلى الخراب ، وخليتم بين لحمي وسباع الطير وحشرات الارض فأكلت مني النملة فما فوقها من الهوام وصار جسدي دودا وجيفة قذرة ، الذل لي حليف ، والعز مني غريب أشدكم حبا إلي أسرعكم إلى دفني ، والتخلية بيني وبين ما قدمت من عملي ، أسلفت من ذنوبي ، فيورثني ذلك الحسرة ، ويعقبني الندامة ، وقد كنتم وعدتموني أن تمنعوني من عدوي الضار فإذا أنتم لا منع عندكم ولا قوة على ذلك لكم ولا سبيل لكم ، أيها الملا إني محتال لنفسي إذ جئتم بالخداع ، ونصبتم لي شراك الغرور (٢) .

فقالوا : أيها الملك المحمود لسنا الذي كنا كما أنك لست الذي كنت ، وقد أبدلنا الذي أبدلك ، وغيرنا الذي غيرك ، فلا ترد علينا توبتنا وبذل نصيحتنا ،

قال : أنا مقيم فيكم ما فعلتم ذلك ومفارقكم إذا خالفتموه ، فأقام ذلك الملك في ملكه وأخذ جنوده بسيرته واجتهدوا في العبادة فخصبت بلادهم وغلبوا عدوهم وازداد ملكهم حتى هلك ذلك الملك ، وقد صار فيهم بهذه السيرة اثنين وثلاثين سنة فكان جميع ما عاش أربعا وستين سنة .

---

(١) في بعض النسخ : الى الحال .

(٢) الشراك : اية الصيد .

{ الحكمة : ٥٢ }

أجمجمة ملك أم جمجمة مسكتن

قال يوذاسف : قد سررت بهذا الحديث جدا ، فزدني من نحوه أزدد سرورا ولربي شكرا .

قال الحكيم : زعموا أنه كان ملك من الملوك الصالحين وكان له جنود يخشون الله عز وجل ويعبدونه ، وكان في ملك أبيه شدة من زمانهم والتفرق فيما بينهم وتنقص العدو من بلادهم ، وكان يحثهم على تقوى الله عز وجل وخشيته والاستعانة به ومراقبته والفزع إليه ، فلما ملك ذلك الملك قهر عدوه واستجمعت رعيته وصلحت بلاده وانتظم له الملك ، فلما رأى ما فضل الله عز وجل به أترفه ذلك وأبطره وأطغاه حتى ترك عبادة الله عز وجل وكفر نعمه ، وأسرع في قتل من عبد الله ودام ملكه وطالت مدته حتى ذهل الناس عما كانوا عليه من الحق قبل ملكه ونسوه وأطاعوه فيما أمرهم به وأسرعوا إلى الضلالة ، فلم يزل على ذلك فنشاء فيه الاولاد وصار لا يعبدالله عز وجل فيهم ولا يذكر بينهم اسمه ولا يحسبون أن لهم إلها غير الملك ، وكان ابن الملك قد عاهدالله عز وجل في حياة أبيه إن هو ملك يوما أن يعمل بطاعة الله عز وجل بأمر لم يكن من قبله من الملوك يعملون به ولا يستطيعونه ، فلما ملك أنساه الملك رأيه الاول ونيته التي كان عليها ، وسكر سكر صاحب الخمر ، فلم يكن يصحو ويفيق (١) .

وكان من أهل لطف الملك رجل صالح أفضل أصحابه منزلة عنده ، فتوجع له مما رأى من ضلالته في دينه ونسيانه ما عاهد الله عليه ، وكان كلما أراد أن يعظه

---

(١) صحا السكران : ذهب سكره وافاق .

ذكر عتوه وجبروته ولم يكن بقي من تلك الامة غيره وغير رجل آخر في ناحية أرض الملك لا يعرف مكانه ولا يدعى باسمه .

فدخل ذات يوم على الملك بجمجمة قد لفها في ثيابه ، فلما جلس عن يمين الملك انتزعها عن ثيابه ثم وطئها برجله فلم يزل يفركها (١) بين يدي الملك وعلى بساطه حتى دنس مجلس الملك بما تحات من تلك الجمجمة ، فلما رأى الملك ما صنع غضب من ذلك غضبا شديدا ، وشخصت إليه أبصار جلسائه واستعدت الحرس بأسيافهم انتظارا لامره إياهم ، بقتله والملك في ذلك مالك لغضبه ، وقد كانت الملوك في ذلك الزمام مع جبروتهم وكفرهم ذوي أناة وتؤدة ، استصلاحا للرعية على عمارة أرضهم ليكون ذلك أعون للجلب وأدى للخراج ، فلم يزل الملك ساكتا على ذلك حتى قام من عنده ، فلف تلك الجمجمة في ثوبه ، ثم فعل ذلك في اليوم الثاني والثالث فلما رأى أن الملك لا يسأله عن تلك الجمجمة ، ولا يستنطقه في شئ من شأنها أدخل مع تلك الجمجمة ميزانا وقليلا من تراب فلما صنع بالجمجمة ما كان يصنع أخذ الميزان وجعل في إحدى كفيته درهما وفي الاخرى بوزنه ترابا ثم جعل ذلك التراب في عين تلك الجمجمة ثم أخذ قبضة من التراب فوضعها في موضع الفم من تلك الجمجمة .

فلما رأى الملك ما صنع قل صبره وبلغ مجهوده ، فقال لذلك الرجل :

قد علمت أنك إنما اجترأت على ما صنعت لمكانك مني وإدلالك علي ، وفضل منزلتك عندي ، ولعلك تريد بما صنعت أمرا ، فخر الرجل للملك ساجدا وقبل قدميه ، وقال :

أيها الملك أقبل علي بعقلك كله فإن مثل الكلمة كمثل السهم إذا رمى به في أرض لينة يثبت فيها وإذا رمى في الصفا لم يثبت ومثل الكلمة كمثل المطر إذا أصاب أرضا طيبة مزروعة ينبته فيها ، وإذا أصاب السباخ لم ينبت ، وإن أهواء الناس متفرقة ، والعقل والهوى يصطرعان في القلب ، فإن غلب هوى العقل

---

(١) فرك الثوب : دلكه ، الشيء عن الثوب ازاله وحكه حتى تفتت .

عمل الرجل بالطيش والسفه ، وإن كان الهوى هو المغلوب لم يوجد في أمر الرجل سقطة ، فإني لم أزل منذ كنت غلاما احب العلم وأرغب فيه وأوثره على الامور كلها ، فلم أدع علما إلا بلغت منه أفضل مبلغ ، فبينا أنا ذات يوم أطوف بين القبور إذ قد بصرت بهذه الجمجمة بارزة من قبور الملوك ، فغاظني موقعها وفراقها جسدها غضبا للملوك فضممتها إلي وحملتها إلى منزلي فألبستها الديباج ونضحتها بالماء الورد والطيب ووضعتها على الفرش وقلت إن كان من جماجم الملوك فسيؤثر فيها إكرامي إياها ، وترجع إلى جمالها وبهائها ، وإن كانت من جماجم المساكين فإن الكرامة لا تزيدها شيئا ففعلت ذلك بها أياما فلم أستنكر من هيئتها شيئا فلما رأيت ذلك دعوت عبدا هو أهون عبدي عندي فأهانها فإذا هي في حالة واحدة عند الاهانة والاكرام ، فلما رأيت ذلك أتيت الحكماء فسألتهم عنها فلم أجد عندهم علما بها ، ثم علمت أن الملك منتهى العلم ومأوى الحلم فأتيتك خائفا على نفسي فلم يكن لي أن أسألك عن شيء حتى تبدأني به واحب أن تخبرني أيها الملك أجمجمة ملك أم جمجمة مسكين .

فإنها لما أعياني أمرها تفكرت في أمرها وفي عينها التي كانت لا يملاؤها شيء حتى لو قدرت على ما دون السماء من شئ تطلعت إلى أن تتناول ما فوق السماء ، فذهبت أنظر ما الذي يسدها ويملاها فإذا وزن درهم من تراب قد سدها وملاها ، و نظرت إلى فيها (١) الذي لم يكن يملاه شيء فملاءته قبضة من تراب ، فإن أخبرتني أيها الملك أنها جمجمة مسكين احتججت عليك بأني قد وجدتها وسط قبور الملوك ، ثم أجمع جماجم ملوك وجماجم مساكين فإن كان لجماجمكم عليها فضل ، فهو كما قلت ، وإن أخبرتني بأنها من جماجم الملوك أنبأتك أن ذلك الملك الذي كانت هذه جمجمته قد كان من بهاء الملك وجماله وعزته في مثل ما أنت فيه اليوم فحاشاك أيها الملك أن تصير إلى حال هذه الجمجمة فتوطأ بالاقدام وتخلط بالتراب ويأكلك الدود وتصبح بعد الكثرة قليلا وبعد العزة ذليلا

(١) يعني فمها .

، وتسعك حفرة طولها أدنى من أربعة أذرع ، ويورث ملكك وينقطع خبرك ويفسد صنايعك ويهان من أكرمت ويكرم من أهنت ويستبشر أعداءك ويضل أعوانك ويحول التراب ونك ، فإن دعوناك لم تسمع ، وإن أكرمناك لم تقبل ، وإن أهناك لم تغضب ، فيصير بنوك يتامى ونساؤك أيامى (١) وأهلك يوشك أن يستبدلن أزواجا غيرك .

فلما سمع الملك ذلك فزع قلبه وانسكبت عيناه يبكى ويقول ويدعو بالويل ، فلما رأي الرجل ذلك علم أن قوله قد استمكن من الملك ، وقوله قد أنجع فيه زاده ذلك جرأة عليه وتكريرا لما قال ، فقال له الملك : جزاك الله عني خيرا وجزا من حولي من العظماء شرا ، لعمري لقد علمت ما أردت بمقالتك هذه وقد أبصرت أمري فسمع الناس خبره فتوجهوا أهل الفضل إليه وختم له بالخير وبقي عليه إلى أن فارق الدنيا .

(١) أي لا زوج لهن .

{ الحكمة : ٥٣ }

تهرمون ثم تموتون

قال ابن الملك : زدني من هذا المثل قال الحكيم : زعموا أن ملكا كان في أول الزمان وكان حريصا على أن يولد له وكان لا يدع شيئا مما يعالج به الناس أنفسهم إلا أتاه وصنعه ، فلما طال ذلك عليه من أمره حملت امرأة له من نسائه فولدت له غلاما فلما نشأ وترعرع (١) خطا ذات يوم خطوة فقال : معادكم تجفون ، ثم خطا اخرى فقال : تهرمون ، ثم خطا الثالثة فقال : ثم تموتون ، ثم عاد كهيئته يفعل كما يفعل الصبي . فدعا الملك العلماء والمنجمين فقال :

أخبروني خبر ابني هذا فنظروا في شأنه وأمره فأعياهم أمره ، فلم يكن عندهم فيه علم ، فلما رأى الملك أنه ليس عندهم فيه علم دفعه إلى المرضعات فأخذن في إرضاعه إلا أن منجما منهم قال :

إنه سيكون إماما ، وجعل عليه حراسا لا يفارقونه حتى إذا شب انسل يوما من عند مرضعيه والحرس فأتى السوق فإذا هو بجنازة .

فقال : ما هذا .

قالوا : إنسانا مات .

قال : ما أماته ؟

قالوا : كبر وفنيت أيامه ودنى أجله فمات .

قال : وكان صحيحا حيا يمشي ويأكل ويشرب ؟

قالوا : نعم .

ثم مضى فإذا هو برجل شيخ كبير فقام ينظر إليه متعجبا منه .

---

(١) ترعرع الصبي : نشا وشب .

فقال : ما هذا ؟

قالوا : رجل شيخ كبير قد فنى شبابه وكبر .

قال : وكان صغيرا ثم شاب ؟

قالوا : نعم .

ثم مضى فإذا هو برجل مريض مستلقى على ظهره ، فقام ينظر إليه ويتعجب منه ، فسألهم ما هذا ؟

قالوا : رجل مريض .

فقال : أو كان هذا صحيحا ثم مرض ؟

قالوا : نعم .

قال : والله لئن كنتم صادقين فإن الناس لمجنونون .

{ الحكمة : ٥٤ }

مثل الزاهد في الدنيا بعد معرفتها

فافتقد الغلام عند ذلك فطلب فإذا هو بالسوق فأتوه فأخذوه وذهبوا به فأدخلوه البيت ، فلما دخل البيت استلقى على قفاه ينظر إلى خشب سقف البيت و يقول : كيف كان هذا ؟

قالوا : كانت شجرة ثم صارت خشبا ، ثم قطع ، ثم بني هذا البيت ، ثم جعل هذا الخشب عليه ، فبينا هو في كلامه إذا رسل الملك إلى الموكلين به :

انظروا هل يتكلم أو يقول شيئا ؟

قالوا : نعم وقد وقع في كلام ما نظنه إلا وسواسا ، فلما رأى الملك ذلك وسمع جميع ما لفظ به الغلام ، دعا العلماء فسألهم فلم يجد فيه عندهم علما إلا الرجل الاول فأنكر قوله فقال بعضهم :

أيها الملك لو زوجته ذهب عنه الذي ترى ، وأقبل وعقل وأبصر فبعث الملك في الارض يطلب ويلتمس له امرأة فوجدت له امرأة من أحسن الناس وأجملهم فزوجها منه ، فلما أخذوا في وليمة عرسه أخذ اللاعبون يلعبون والزمارون يزمرون ، فلما سمع الغلام جلبتهم (١) وأصواتهم .

قال : ما هذا ؟

قالوا : هؤلاء لعابون وزمارون جمعوا لعرسك ، فسكت الغلام .

فلما فرغوا من العرس وأمسوا ، دعا الملك امرأة ابنه فقال لها : إنه لم يكن لي ولد غير هذا الغلام ، فلما دخلت عليه فألطفي به وأقربي منه وتحببي إليه ، فلما

---

(١) جلب القوم : ضجوا واختلطت اصواتهم . والجلاب والمجلب - بشدّ اللام - : المصوت .

دخلت المرأة عليه أخذت تدنو منه وتتقرب إليه ، فقال الغلام على رسلك (١) فإن الليل طويل ، بارك الله فيك ، واصبري حتى نأكل ونشرب ، فدعا بالطعام فجعل يأكل فلما فرغ جعلت المرأة تشرب فلما أخذ الشراب منها نامت .

فقام الغلام فخرج من البيت ، وانسل من الحرس والبوابين حتى خرج وتردد في المدينة ، فلقيه غلام مثله من أهل المدينة فأتبعه وألقى ابن الملك عنه تلك الثياب التي كانت عليه ولبس ثياب الغلام ، وتنكر جهده وخرجا جميعا من المدينة فسارا ليلتهما حتى إذا قرب الصبح خشيا الطلب فكمنا ، فاتيت الجارية عند الصبح فوجدوها نائمة فسألوها أين زوجك ؟

قالت : كان عندي الساعة ، فطلب الغلام فلم يقدر عليه ، فلما أمسى الغلام وصاحبه سارا ثم جعلا يسيران الليل ويكمنان النهار حتى خرجا من سلطان أبيه ، ووقعا في ملك سلطان آخر .

وقد كان لذلك الملك الذي صارا إلى سلطانه ابنة قد جعل لها أن لا يزوجها أحدا إلا من هوته ورضيته ، وبنى لها غرفة عالية مشرفة على الطريق فهي فيها جالسة تنظر إلى كل من أقبل وأدبر فبينما هي كذلك إذ نظرت إلى الغلام يطوف في السوق وصاحبه معه في خلقانه ، فأرسلت إلى أبيها إني قد هويت رجلا فإن كنت مزوجي أحدا من الناس فزوجني منه واتيت ام الجارية فقيل لها : إن ابنتك قد هويت رجلا وهي تقول كذا وكذا ، فأقبلت إليها فرحة حتى تنظر إلى الغلام فأروها إياه فنزلت امها مسرعة حتى دخلت على الملك ، فقالت : إن ابنتك قد هويت غلاما فأقبل الملك ينظر إليه ، ثم قال أرونيه فأروه من بعد فأمر أن يلبس ثيابا اخرى ونزل فسأله واستنطقه .

وقال : من أنت ومن أين أنت ؟

قال الغلام : وما سؤالك عني أنا رجل من مساكين الناس .

فقال : إنك لغريب ، وما يشبه لونك ألوان أهل هذه المدينة .

---

(١) أي على مهلك يعني امهل وتان .

فقال الغلام : ما أنا بغريب ، فعالجه الملك أن يصدقه قصته فأبى ، فأمر الملك اناسا أن يحرسوه وينظروا أين يأخذ ، ولا يعلم بهم ، ثم رجع الملك إلى أهله فقال :

رأيت رجلا كأنه ابن الملك وماله حاجة فيما تراودونه عليه ، فبعث إليه فقيل له : إن الملك يدعوك .

فقال الغلام : وما أنا والملك يدعوني ومالي إليه حاجة وما يدري من أنا ، فانطلق به على كره منه حتى دخل على الملك فأمر بكرسي فوضع له فجلس عليه ودعى الملك امرأته وابنته فأجلسهما من وراء الحجاب خلفه فقال له الملك :

دعوتك لخير ، إن لي ابنه قد رغبت فيك اريد أن ازوجها منك فإن كنت مسكينا أغنيناك ورفعناك وشرفناك .

قال الغلام : مالي فيما تدعوني إليه حاجة ، فإن شئت ضربت لك مثلا أيها الملك ؟

قال : فافعل .

قال الغلام : زعموا أن ملكا من الملوك كان له ابن وكان لابنه أصدقاء صنعوا له طعاما ودعوه إليه فخرج معهم فأكلوا وشربوا حتى سكروا فناموا فاستيقظ ابن الملك في وسط الليل فذكر أهله فخرج عائدا إلى منزله ، ولم يوقظ أحدا منه فبينا هو في مسيره إذ بلغ منه الشراب فبصر بقبر على الطريق فظن أنه مدخل بيته فدخله فإذا هو بريح الموتى فحسب ذلك لما كان به السكر أنه رياح طيبة فإذا هو بعظام لا يحسبها إلا فرشه الممهدة ، فإذا هو بجسد قد مات حديثا وقد أروح فحسبه أهله فقام إلى جانبه فاعتنقه وقبله وجعل يعبث به عامة ليله فأفاق حين أفاق ونظر حين نظر فإذا هو على جسد ميت وريح منتنة ، قد دنس ثيابه وجلده ، ونظر إلى القبر وما فيه من الموتى ، فخرج وبه من السوء ما يختفي به من الناس أن ينظروا إليه متوجها إلى باب المدينة ، فوجده مفتوحا فدخله حتى أتى أهله فرأى

أنه قد انعم عليه حيث لم يلقه أحد ، فألقى عنه ثيابه تلك واغتسل ولبس لباسا اخرى وتطيب . عمرك الله أيها الملك أتراه راجعا إلى ما كان فيه وهو يستطيع ؟

قال : لا .

قال : فإني أنا هو .

فالتفت الملك إلى امرأته وابنته ، وقال : قد أخبرتكم أنه ليس له فيما تدعونه رغبة .

{ الحكمة : ٥٥ }

مثل الدنيا لتن مسها وسم في جوفها

قالت امها : لقد قصرت في النعت لابنتي والوصف لها أيها الملك ولكنى خارجة إليه ومتكلمة .

فقال الملك للغلام : إن امرأتي تريد أن تكلمك وتخرج إليك ولم تخرج إلى أحد قبلك .

فقال الغلام : لتخرج إن أحبت .

فخرجت وجلست فقالت للغلام :

تعال إلى ما قد ساق الله إليك من الخير والرزق فازوجك ابنتي فإنك لو قد رأيتها وما قسم الله عز وجل لها من الجمال والهيئة لاغتبطت .

فنظر الغلام إلى الملك فقال : أفلا أضرب لك مثلا ؟

قال : بلى .

قال : إن سراقا تواعدوا أن يدخلوا خزانة الملك ليسرقوا ، فنقبوا حائط الخزانة فدخلوها فنظروا إلى متاع لم يروا مثله قط ، وإذا هم بقلة من ذهب مختومة بالذهب فقالوا لا نجد شيئا أعلى من هذه القلة هي ذهب مختومة بالذهب والذي فيها أفضل من الذي رأينا فاحتملوها ومضوبها حتى دخلوا غيضة لا يأمن بعضهم بعضا عليها ففتحوها فإذا في وسطها أفاع ، فوثبن في وجوههم فقتلنهم أجمعين . عمرك الله أيها الملك أفترى أحدا علم بما أصابهم ومالقوه يدخل يده في تلك القلة وفيها من الافاعي ؟

قال : لا .

قال : فإني أنا هو .

{ الحكمة : ٥٦ }

مثل اخر للدنيا

فقالت الجارية لابيها : ائذن لي فأخرج إليه بنفسي واكلمه فإنه لو قد نظر إلي وإلى جمالي وحسني وهيئتي وما قسم الله عز وجل لي من الجمال لم يتمالك أن يجيب .

فقال الملك للغلام : إن ابنتي تريد أن تخرج إليك ولم تخرج إلى رجل قط .

قال : لتخرج أن أجبت .

فخرجت عليه وهي أحسن الناس وجها وقدا وطرفا وهيكلا ، فسلمت على الغلام وقالت للغلام : هل رأيت مثلي قط أو أتم أو أجمل أو أكمل أو أحسن ؟ وقد هويتك وأحببتك .

فنظر الغلام إلى الملك ، فقال : أفلا أضرب لها مثلا ؟

قال : بلى .

قال الغلام : زعموا أيها الملك إن ملكا له ابنان فأسر أحدهما ملك آخر فحبسه في بيت وأمر أن لا يمر عليه أحد إلا رماه بحجر ، فمكث بذلك حينا ، ثم إن أخاه قال لابيه : ائذن لي فأنطلق إلى أخي فافديه ، وأحتال له .

قال : فانطلق وخذ معك ما شئت من مال ومتاع ودواب ، فاحتمل معه الزاد والراحلة وانطلق معه المغنيات والنوائح فلما دنا من مدينة ذلك الملك أخبر الملك بقدومه فأمر الناس بالخروج إليه وأمر له بمنزل خارج من المدينة فنزل الغلام في ذلك المنزل فلما جلس فيه ونشر متاعه وأمر غلمانه أن يبيعوا الناس ويساهلوهم في بيعهم ويسامحوهم ففعلوا ذلك فلما رأى الناس قد شغلوا بالبيع انسل ودخل

المدينة وقد علم أين سجن أخيه ، ثم أتى السجن فأخذ حصاة فرمى بها لينظر ما بقي من نفس أخيه ، فصاح حين أصابته الحصاة .

وقال : قتلتني ففزع الحرس عند ذلك و خرجوا إليه وسألوه لم صحت وما شأنك وما بدالك وما رأيناك تكلمت ونحن نعذبك منذحين ويضربك ويرميك كل من يمر بك بحجر ، ورماك هذا الرجل بحصاة فصحت منها ؟

فقال : إن الناس كانوا من أمري على جهالة ورماني هذا على علم فانصرف أخوه راجعا إلى منزله ومتاعه .

وقال للناس : إذا كان غدا فأتوني أنشر عليكم بزا ومتاعا لم تروا مثله قط فانصرفوا يومئذ حتى إذا كان من الغد غدوا عليه بأجمعهم فأمر بالبز فنشروا وأمر بالمغنيات والنايحات وكل صنف معه ممايلهى به الناس فأخذوا في شأنهم فاشتغل الناس فأتى أخاه فقطع عنه أغلاله ، وقال : أنا اداويك فاختلسه وأخرجه من المدينة فجعل على جراحاته دواء كان معه حتى إذا وجد راحة أقامه على الطريق .

ثم قال له : انطلق فإنك ستجد سفينة قد سيرت لك في البحر ، فانطلق سائرا فوقع في جب فيه تنين وعلى الجب شجرة نابتة فنظر إلى الشجرة فإذا على رأسها اثنا عشر غولا وفي أسفلها اثنا عشر سيفا ، وتلك السيوف مسلولة معلقة فلم يزل يتحمل ويحتال حتى أخذ بغصن من الشجرة فتعلق به وتخلص وسار حتى أتى البحر فوجد سفينة قد اعدت له إلى جانب الساحل فركب فيها حتى أتوابه أهله . عمرك الله أيها الملك أتراه عائد إلى ما قد عاين ولقى .

قال : لا .

{ الحكمة : ٥٧ }

احب لاخيك ما تحب لنفسك

قال : فإني أنا هو فيئسوا منه ، فجاء الغلام الذي صحبه من المدينة وقال : اذكرني لها وأنكحنيها فقال الغلام للملك إن هذا يقول إني احب أن ينكحنيها الملك .

فقال : لا أفعل .

قال : أفلا أضرب لك مثلا ؟

قال : بلى .

قال : إن رجلا كان في قوم فركبوا سفينة فساروا في البحر ليالي وأياما ثم انكسرت سفينتهم بقرب جزيرة في البحر فيها الغيلان فغرقوا كلهم سواه وألقاه البحر إلى الجزيرة ، وكانت الغيلان يشرفن من الجزيرة إلى البحر فأتى غولا فهويها ونحكها حتى إذا كان من الصبح قتلته وقسمت أعضاءه بين صواحباتها واتفق مثل ذلك لرجل آخر فأخذته ابنة ملك الغيلان فانطلقت به فبات معها ينكحها وقد علم الرجل مالقي من كان قبله فليس ينام حذرا حتى إذا كان مع الصبح قامت الغولة فانسل الرجل .

حتى أتى الساحل فإذا هو بسفينة فنادى أهلها واستغاث بهم فحملوه حتى أتوابه أهله فأصبحت الغيلان فأتوا الغولة التي باتت معه فقالوا لها أين الرجل الذي بات معك ؟

قالت : إنه قد فرمني .

فكذبوها وقالوا : أكلته واستأثرت به علينا فنقتلنك .

إن لم تأتنا به فمرت في الماء حتى أتته في منزله ورحله فدخلت عليه وجلست عنده وقالت له :

ما لقيت في سفرك هذا .

قال : لقيت بلاء خلصني الله منه وقص عليها ذلك فقالت وقد تخلصت ؟

قال : نعم فقالت أنا الغولة وجئت لاخذك فقال لها : أنشدك الله أن تهلكيني فإني أدلك على مكان رجل ، قالت إني أرحمك فانطلقا حتى دخلا على الملك ، قالت اسمع منا أصلح الله الملك إني تزوجت بهذا الرجل وهو من أحب الناس إلي ، ثم إنه كرهني وكره صحجتي فانظر في أمرنا فلما رآها الملك أعجبه جمالها فخلا بالرجل فساره وقال :

إني قد أحببت أن تتركها فأتزوجها

قال : نعم أصلح الله الملك ما تصلح إلا لك فتزوج بها الملك وبات معها حتى إذا كانت مع السحر ذبحته وقطعت أعضاءه وحملته إلى صواحباتها أفترى أيها الملك أحدا يعلم بهذا ، ثم ينطلق إليه ؟

قال : لا .

قال الخاطب للغلام فإني لا افارقك ولا حاجة لي فيما أردت .

فخرجا من عند الملك يعبدان الله جل جلاله ويسيحان في الارض ، فهدى الله عز وجل بهما اناسا كثيرا وبلغ شأن الغلام وارتفع ذكره في الافاق فذكر والده ، وقال : لو بعثت إليه لاستنقذته مما هو فيه ، فبعث إليه رسولا فأتاه فقال له : إن ابنك يقرئك السلام وقص عليه خبره وأمره فأتاه والده وأهله فاستنقذهم مما كانوا فيه .

خاتمة القصة

ثم إن بلوهر رجع إلى منزله واختلف إلى يوذاسف أياما حتى عرف أنه فتح له الباب ودله على السبيل ، ثم تحول من تلك البلاد إلى غيرها .

وبقي يوذاسف حزينا مغتما فمكث بذلك حتى بلغ وقت خروجه إلى النساك لينادي بالحق ويدعو إليه أرسل الله عز وجل ملكا من الملائكة فلما رأى منه خلوة ظهر له وقام بين يديه ، ثم قال له :

لك الخير والسلامة أنت إنسان بين البهائم الظالمين الفاسقين من الجهال أتيتك بالتحية من الحق وإله الخلق بعثني إليك لابشرك وأذكر لك ما غاب عنك من امور دنياك وآخرتك ، فاقبل بشارتي ومشورتي ولا تغفل عن قولي ، اخلع عنك الدنيا وانبذ عنك شهواتها وازهد في الملك الزائل ، والسلطان الفاني الذي لا يدوم وعاقبته الندم والحسرة ، واطلب الملك الذي لا يزول والفرح الذي لا ينقضي والراحة التي لا يتغير وكن صديقا مقسطا ، فإنك تكون إمام الناس تدعوهم إلى الجنة .

فلما سمع يوذاسف كلامه خر بين يدي الله عز وجل ساجدا ، وقال :

إني لامرالله تعالى مطيع وإلى وصيته منته ، فمرني بأمرك فإني لك حامد ولمن بعثك إلي شاكر فإنه رحمني ورؤف بي ولم يرفضني بين الاعداء فإني كنت بالذي أتيت له مهتما ،

قال الملك : إني أرجع إليك بعد أيام ثم اخرجك فتهيأ للخروج ولا تغفل عنه.

فوطن يوذاسف نفسه على الخروج وجعل همته كله فيه ولم يطلع على ذلك أحدا حتى إذا جاء وقت خروجه أتى الملك في جوف الليل والناس نيام ، فقال له:

قم فاخرج ولا تؤخر ذلك .

فقام ولم يفش سره إلى أحد من الناس غير وزيره فبينا هو يريد الركوب إذ أتاه رجل شاب جميل كان قد ملكهم بلاده فسجد له .

وقال أين تذهب : يا ابن الملك وقد أصابنا العسر أيها المصلح الحكيم الكامل : وتتركنا وتترك ملكك وبلادك ، أقم عندنا فإنا كنا منذ ولدت في رخاء وكرامة ولم تنزل بنا عاهة ولا مكروه .

فسكته يوذاسف وقال له : امكث أنت في بلادك ودار (١) أهل مملكتك فأما أنا فذاهب حيث بعثت وعامل ما امرت به فإن أنت اعنتني ن لك في عملي نصيبا ، ثم ركب فسار ما قضى الله له أن يسير .

ثم إنه نزل عن فرسه ووزيره يقود فرسه ويبكي أشد البكاء ، ويقول ليوذاسف بأي وجه أستقبل أبويك ؟ وبما أجيبهما عنك وبأي عذاب أو موت يقتلاني ، وأنت كيف تطيق العسر والاذى الذي لم تتعوده وكيف لا تستوحش وأنت لم تكن وحدك يوما قط ؟ وجسدك كيف تحمل الجوع والظمأ والتقلب على الارض والتراب ، فسكته وعزاه ووهب له فرسه والمنطقة فجعل يقبل قدميه ويقول : لا تدعني وراءك يا سيدي اذهب بي معك حيث خرجت فإنه لا كرامة لي بعدك وإنك إن تركتني ولم تذهب بي معك خرجت في الصحراء ولم أدخل مسكنا فيه إنسان أبدا .

فسكته أيضا وعزاه ، وقال : لا تجعل في نفسك إلا خيرا فإني باعث إلى الملك وموصيه فيك أن يكرمك ويحسن إليك .

ثم نزع عنه لباس الملك ودفعه إلى وزيره وقال له : البس ثيابي وأعطاه الياقوته التي كان يجعلها في رأسه ، وقال : انطلق بها معك وفرسي وإذا أتيته فاسجد له وأعطه هذه الياقوتة وأقرئه السلام ثم الاشراف وقل لهم : إني لما نظرت فيما بين الباقي والزائل رغبت في الباقي وزهدت في الزائل ولما استبان لي أصلي وحسبي وفضلت بينهما وبين الاعداء والقرباء رفضت الاعداء والقرباء وانقطعت إلي

---

(١) من المداراة .

أصلي وحسبي ، فأما والدي فإنه إذا أبصر الياقوتة طابت نفسه ، فإذا أبصر كسوتي عليك ذكرني وذكر حبي لك ومودتي إياك ، فمنعه ذلك أن يأتي إليك مكروها .

ثم رجع وزيره وتقدم يوذاسف أمامه يمشي حتى بلغ فضاء واسعا فرفع رأسه فرأى شجرة عظيمة على عين من ماء أحسن ما يكون من الشجر وأكثرها فرعا وغصنا وأحلاها ثمرا ، وقد اجتمع إليها من الطير مالا يعد كثرة ، فسر بذلك المنظر وفرح به ، وتقدم إليه حتى دنامنه ، وجعل يعبره في نفسه ويفسره فشبه الشجر بالبشرى التي دعا إليها وعين الماء بالحكمة والعلم ، والطير بالناس الذين يجتمعون إليه ويقبلون منه الدين ، فبينا هو قائم إذ أتاه أربعة من الملائكة عليهم السلام يمشون بين يديه فأتبع آثارهم حتى رفعوه في جو السماء واوتي من العلم والحكمة ما عرف به الاولى والوسطى والاخرى ، والذي هو كائن ، ثم أنزلوه إلى الارض وقرنوا معه قرينا من الملائكة الاربعة فمكث في تلك البلاد حينا ثم إنه .

أتى أرض سولابط فلما بلغ والده قدومه خرج يسير هو والاشراف فأكرموه و قربوه ، واجتمع إليه أهل بلده مع ذوي قرابته وحشمه وقعدوا بين يديه وسلموا عليه وكلمهم الكلام الكثير وفرش لهم الايناس وقال لهم : اسمعوا إلي بأسماعكم وفرغوا إلي قلوبكم لاستماع حكمة الله عز وجل التي هي نور الانفس وتقروا بالعلم الذي هو الدليل على سبيل الرشاد ، وأيقظوا عقولكم وافهموا الفصل الذي بين الحق والباطل ، والضلال والهدى . واعلموا أن هذا هو دين الحق الذي أنزله الله عز وجل على الانبياء والرسل عليهم السلام ، والقرون الاولى ، فخصنا الله عز وجل به في هذا القرن برحمته نا ورأفته ورحمته وتحننه علينا وفيه خلاص من نار جهنم إلا أنه لا ينال الانسان ملكوت السماوات ولا يدخلها أحد إلا بالايمان وعمل الخير ، فاجتهدوا فيه لتدركوا به الراحة الدائمة والحياة التي لا تنقطع أبدا ومن آمن منكم بالدين فلا يكونن إيمانه طمعا في الحياة ورجاء ملك الارض وطلب مواهب الدنيا ، وليكن إيمانكم طمعا في ملكوت

السماوات ورجاء الخلاص وطلب النجاة من الضلالة وبلوغ الراحة والفرج في الاخرة ، فإن ملك الارض وسلطانها زائل ، ولذاتها منقطعة ، فمن اغتر بها هلك وافتضح ، لوقد وقف على ديان الدين الذي لا يدين إلا بالحق ، فإن الموت مقرون مع أجسادكم وهو يتراصد أرواحكم أن يكبكبها مع الاجساد . واعلموا أنه كما أن الطير لين يقدر على الحياة والنجاة من الاعداء من اليوم إلى غد هذه إلا بقوة من البصر والجناحين والرجلين ، فكذلك الانسان لا يقدر على الحياة والنجاة إلا بالعمل والايمان وأعمال الخير الكاملة ، فتفكر أيها الملك أنت والاشراف فيما تستمعون وافهموا واعتبروا ، واعبروا البحر مادامت السفينة ، واقطعوا المسافة مادام الدليل والظهر والزاد ، واسلكوا سبيلكم مادام المصباح ، وأكثروا من كنوز البر مع النساك ، وشاركوهم في الخير والعمل الصالح ، وأصلحوا التبع وكونوا لهم أعوانا وأمروهم بأعمالكم لينزلوا معكم ملكوت النور ، واقبلوا النور ، واحتفظوا بفرائضكم ، وإياكم أن تتوثقوا إلى أماني الدنيا وشرب الخمور وشهوة النساء من كل ذميمة وقبيحة مهلكة للروح والجسد واتقوا الحمية والغضب والعداوة والنميمة ، وما لم ترضوه أن يؤتى إليكم فلا تأتوه إلى أحد ، وكونوا طاهري القلوب ، صادقي النيات لتكونوا على المنهاج إذا أتاكم الاجل .

ثم انتقل من أرض سولابط وسار في بلاد ومدائن كثيرة حتى أتى أرضا تسمى قشمير فسار فيها وأحيا ميتها ومكث حتى أتاه الاجل الذي خلع الجسد ، وارتفع إلى النور ، ودعا قبل موته تلميذا له اسمه يابد الذي كان يخدمه ويقوم عليه ، وكان رجلا كاملا في الامور كلها ، وأوصى إليه وقال : إنه قد دنا ارتفاعي عن الدنيا ، واحتفظوا بفرائضكم ، ولا تزيغوا عن الحق ، وخذوا بالنسك ، ثم أمر يابد أن يبني له مكانا فبسطه هو رجليه وهيأ رأسه إلى المغرب ووجهه إلى المشرق ثم قضى نحبه (١) .

---

(١) الصدوق ، كمال الدين وتمام النعمة : ص٥٧٨ ، المجلسي ، بحار الأنوار : ج٧٥ ص٣٨٤ .

المصادر

❖- القرآن الكريم .

❖- الحراني : أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة (من أعلام القرن الرابع الهجري) :

١- تحف العقول عن آل الرسول ، مؤسسة الأعلمي ، ط٥ ، (بيروت - لبنان : ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م) .

❖- الخوارزمي ، الموفق بن أحمد الحنفي الخوارزمي المعروف بأخطب خوارزم (ت ٥٦٨ هـ)

٢- المناقب : مكتبة نينوى الحديثة طهران : ١٩٦٥ م .

❖- الخوئي، السيد ابو القاسم الموسوي، (ت ١٤١١ هـ) :

٣- معجم رجال الحديث وطبقات الرواة ، ط٥، ل.ن ، (ل.م، ١٤١٣هـ).

❖- الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابوية القمي ، (ت ٣١٨ هـ / ٩٢٩م) :

٤- الآمالي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة ، ط١ ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ، (طهران – ١٤١٧هـ) .

٥- من لا يحضره الفقيه ، دار الأضواء ، ط٢، (بيروت – لبنان : ١٤١٣هـ) .

٦- التوحيد ، تحقيق هاشم الحسيني ، جماعة المدرسين للنشر ، (طهران ،١٣٨٧ هـ) .

٧- ثواب الأعمال ،منشورات الرضي ، ط٢ ، (قم - إيران) .

٨- الخصال ،تحقيق علي اكبر الغفاري ، جامعة المدرسين ، (قم - ايران : ١٤٠٣ هـ).

٩- كمال الدين وتمام النعمة، دار الكتب الإسلامية ، (قم - ايران : ١٣٩٥ هـ) .

١٠- معاني الأخبار ، تحقبق علي اكبر غفاري، (قم - ايران : ١٣٦١ هـ) .
١١- عيون أخبار الرضا ، تحقيق : حسين الأعلمي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
١٢- علل الشرائع ، تحقيق العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم ، دار احياء التراث العربي ، ط٢ ، (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م) .
◆- القمي ، الشيخ عباس (ت ١٣٥٩ هـ) :
١٣- الكنى والألقاب ، المطبعة الحيدرية ، ط١ ، (النجف : ١٩٧٠ م) .
◆- الشاهروردي، علي النمازي ، (ت ١٤٠٥هـ) :
١٤- مستدركات علم رجال الحديث ، ط١ ، مطبعة حيدري ، ل.ن ، (طهران ، ١٤١٦هـ).
◆- العاملي، السيد محسن الأمين، (ت ١٣٧١ هـ) :
١٥- أعيان الشيعة، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت – لبنان : ١٤٠٣ هـ) .
◆- الطهراني، محمد محسن أغا بزرك ، (ت ١٣٨٩ هـ) :
١٦- الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، دار الأضواء ، ط٣، (بيروت – لبنان : ١٤٠٣هـ).
◆- المجلسي : محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١ هـ) :
١٧- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، مؤسسة الوفاء ، ط٢ ، (بيروت – لبنان : ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) .

الفهارس

{ الحكمة : ١٥ } ظاهره مزري وباطنه حكمة وعلما	
{ الحكمة : ١٦ } الزارع حامل الحكمة والبذر ففنون الكلام	
{ الحكمة : ١٧ } اما البئر فالدنيا مملوة آفات وبلايا وشرور	
{ الحكمة : ١٨ } القرين الصالح	
{ الحكمة : ١٩ } الرجل الغريب الجاهل	
{ الحكمة : ٢٠ } الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة إلى الاخرة	
{ الحكمة : ٢١ } يصدق ولا يكذب ويبتلى فيصبر	
{ الحكمة : ٢٢ } الجيفة متاع الدنيا	
{ الحكمة : ٢٣ } الطبيب الرفيق	
{ الحكمة : ٢٤ } أكل المضطر المستقل	
{ الحكمة : ٢٥ } داع لهم إلى طاعة ربهم	
{ الحكمة : ٢٦ } تفكر بعقله فأصاب	
{ الحكمة : ٢٧ } المفسد لا يكون كالمصلح	
{ الحكمة : ٢٨ } لماذا الانبياء يأتون في زمان دون زمان	
{ الحكمة : ٢٩ } ان الانبياء يستعرضون الناس جميعا بدعائهم	
{ الحكمة : ٢٩ } ان الانبياء يستعرضون الناس جميعا بدعائهم	
{ الحكمة : ٣٠ } الحكمة مفتاح كل خير النجاة من كل شر	
{ الحكمة : ٣١ } إنما مثل الحكمة كمثل الشمس الطالعة	
{ الحكمة : ٣٢ } لا يفرق بينهما شيء إلا الدين والحكمة	
{ الحكمة : ٣٣ } أهل الدين الذين عرفوا ملك الاخرة	
{ الحكمة : ٣٤ } الفتى الذي صاهر الفقير	
{ الحكمة : ٣٥ } سنة قد سنها أئمة الهدى	
{ الحكمة : ٣٦ } الباقي الذي لا فناء له	

الفهارس	

قصة
بلوهر و يوذاسف



تأليف محمد رسول كاظم



منشورات طريق المعرفة
النجف - سوق الحويش

تصميم علي رسول
٠٧٨١١٣٨٥٨٦٥